



من دفاتر الاشياء المألوفة:

عرس الثورة

حوار فكري وسياسي

محمد المهدي الغزالي

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان

عرس الثورة

كتاب الشعب

عرس الثورة

حوار فكري وسياسي

جمعة المهدي الفزاني

منشورات
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان

العدد ٣ | مارس ١٩٧٨

الطبعة الثانية

١٩٧٩م.

الاهداء

* جاء فارسنا الحبيب ..
* على جواد الشمس .. جاء .. قابضاً على سيف الحقيقة .. جاء ..
* فأفقنا بأنفاس صدقه ..
* وتحطمت أبواب الأشياء المألوفة بدفء كلماته ..
* فأفقنا ..
* تبهرنا الحقيقة .. فقبضنا على سيوفها ..
* وشددنا أعنة الخيول نحو الآفاق ..
* نعانق الشمس ..
* ونسابق الريح ..

لعرس الثورة .

أبو جمال

مقدّمة
حوار الأشياء المألوفة

مسيرة الإنسان هي مسيرة نحو الغد والتطلع إلى مستقبل أفضل والمرء حين يفقده فى حياته ، فانه يفقد معه مقومات وجوده . ويظل في هذا العالم مجموعة من البشر يملكون الأمل ، ويملكون معه الرؤيا والحلم اللذان يصنعهما الأمل ، فيقدمون حلماً جميلاً لعالم تسوده السعادة وتظلله الحرية والرخاء ذلك العالم الخيالي الذي ارتاده رواد الفلاسفة بأفكارهم من مختلف مشاربهم الفكرية ، ليتصوروا عالماً جديداً يبنون منه مدنهم الفاضلة . فقبل الميلاد بأربعة قرون كتب أفلاطون مدينته الفاضلة المشهورة « بجمهورية أفلاطون » ثم كتب القديس اوغسطين مدينة فاضلة بعنوان « مدينة الله » وفي القرن السابع عشر كتب « تومازو كامبانيلا » الإيطالي مدينته بعنوان « مدينة الشمس » أما الفيلسوف الإنجليزي « فرنسيس بيكون » فقد سمى مدينته

الفاضلة « بأطلنس الجديدة » ، وقبله بقرن كان مواطنه « توماس مور » قد صور مدينته المثالية في كتابه الشهير «اليوتوبيا» هذا اللفظ الذي أصبح يطلق على كل المحاولات والتجارب التي تحاول أن تصنع عالماً جديداً هدفه تحقيق حرية الإنسان وسعادته .

ولعل كتاب جمهورية أفلاطون هو أقدم الكتب في التاريخ التي وصلت الإنسان المعاصر وهي تبحث عن عالم تسوده المثل ، وقد توسل أفلاطون فيه اسلوب الحوار لتقديم أفكاره ونظريته يقول :

س : أوليست العدالة فضيلة انسانية ؟
ب : انها كذلك بلا شك .
س : ماذا ضر الناس ، يا صديقي ، صاروا أقل عدالة .
ب : هكذا يظهر .
س : أفيقدر الموسيقيون أن يجعلوا الناس ، بالموسيقى ، غير موسيقيين ؟
ب : لا يقدرون ..
س : أو يجعل الخيالة الناس ، بطرادهم ، ضعاف الفروسية؟
ب : لا ..

س : وعليه أفيقدر العادلون ، بعد التهم ، أن يجعلوا الناس ظالمين ؟

ب : لا .. ان ذلك مستحيل ..

س : حقاً فاذا لم أكن مخطئاً فليس من خصائص الحرارة أن تجعل الأشياء باردة بل ذلك من خصائص ضدها .

ب : نعم ..

س : وليس من خصائص الجفاف أن يجعل المواد رطبة بل ان ذلك من خصائص الضد .

ب : أكيد ..

هذا حوار كتب قبل خمسة قرون قبل الميلاد بين بوليما رخس وسقراط وقد ورد في جمهورية أفلاطون وليس من شك في أن أسلوب الحوار سيظل أحد الأساليب التي يتوسلها الكاتب للتعبير عن أفكار بحاجة إلى توضيح وإلى شرح .

ولعل أهمية ما قدمه جمعة الفزاني عبر حواراته لا يرجع إلى إستخدامه الحوار — بحد ذاته — بل يرجع إلى أهمية المضمون الذي يقدمه الكاتب عبر تلكم الحوارات ، هــذا المضمون الذي يحتاج إلى مزيد من القاء الضوء والتحليل والمناقشة

وإذا كان أفلاطون في جمهوريته حاول أن يؤكد على أن

الدولة المثلى في نظره يجب أن تكون ارستقراطية تحكمها طبقة الحكام الحكماء . وإذا كان توماس مور في اليوتبيا تخيل مدينة مثالية تحقق للناس السعادة ، وتستأصل من نفوسهم نوازع الشرور ، وإذا كان كامبانيلا رأى أن الحكم في مدينة الشمس يتولاه العلماء والفلاسفة . وإذا كان بيكون قد رأى مدينته يحكمها العلماء لا الفلاسفة إلا أن كل هؤلاء المفكرين لم يحلوا في النهاية معضلة الحكم . ومعضلة الديمقراطية معها .

ولقد جاء الكتاب الأخضر ليقدم تصوراً لحل مشكل الديمقراطية بتسليم السلطة للشعب الذي يمارس حكم نفسه بنفسه من خلال المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية والنقابات . وحينما كانت هذه المعضلة هي إحدى المعضلات التي تواجه الإنسان وهو يمارس حقه في الحياة وهو يمارس حريته وإرادته السياسية . فان الكتاب الأخضر طرح لهذه المشكلة حلاً نظرياً . وقد مورس هذا الحل عملياً على أرض ليبيا العربية وبجماهيرها . ولذا فانه يظل للكتاب الأخضر فضلاً على كل « يوتوبيات » التاريخ ومدنها الفاضلة . أنه لم يكن مجرد أفكار نظرية . وانما هو نظرية تأخذ دورها الواقعي لتعلن قيام الجماهيرية واعلان سلطة الشعب .

من هنا تكمن أهمية هذه الحوارات التي كتبها جمعة الفزاني ، إذ جاءت حوارات لتفسر وتشرح وتوضح جوانب النظرية لحل مشكلة الديمقراطية وهي تمارس فعلاً على أرض الواقع .

وقد استخدم الكاتب في طرح قضايا الثورة أسلوب الحوار. وإذ انتهج هذا النهج فذلك ليس أمراً عيجباً ، فا، القضية التي يناقشها هي قضية تتعلق بالديمقراطية بالحوار المقدمة الأولى للديمقراطية ، وهذه القضية هي من الأهمية بحيث تحتاج إلى التعميق والتناول العلمي وبسط الفكرة على مستويين : —

أولهما : مستوى الدراسة والتحليل ، وذلك مجاله المقالة والبحث ، والكتاب .

وثانيهما : مستوى تبسيط الفكرة وعرضها عرضاً منطقياً بحيث تصل القارىء من خلال حجة منطقية والحوار هو أحد هذه الأساليب الذي يحقق هذا الهدف .

فلنتساءل لماذا كان الحوار حوار صدفة ، وما هي القضية الأساسية التي عالجها المؤلف ؟

لقد كانت مشكلة الحرية عبر مسيرة التاريخ قضية تؤزم الإنسان حيثما كان ، وتشغل انتباه وفكر المفكرين وتؤرقهم . وكانت في حد ذاتها حواراً مستمراً عبر الأجيال بين المفكرين . اما أن تأتي حواراً ثنائياً خلال مناقشات علمية ، واما حواراً ذاتياً يتم عبر محاورات فنية . مثلها مثل ما تم في جمهورية أفلاطور ومحاوراته .

وليس هنا مجال للمقارنة بين هذا الحوار الذي نتابعه عبر دفاتر الأشياء المألوفة وبين محاورات أفلاطون . ذلك لأن المؤلف كان واضح الهدف في حواراته إذ إنه قصد تبسيط المفاهيم السياسية لايصالها إلى القارىء عبر حوار فني لا يخلو من لمحات ادبية بدلاً من لجوئه إلى المقال السياسي – وهو أحد فرسانه – ولكن نظرة إلى هذه الحوارات سوف ترينا البساطة في الأسلوب والقدرة على إيصال مفاهيم سياسية قد تبدو جافة على القارىء العادي الذي لم يألف جفاف الفكر السياسي ، فهنا يقدم الكتاب إلينا الحوارات السياسية مختلطة بالأدب . ومن ثم تكمن أهمية هذه الحوارات التي جاءت لتكرس مفاهيم سلطة الشعب ، والديمقراطية المباشرة . ومعنى الثورة الثقافية ، ومناقشة النظم النيابية ، وقضية الثورة الشعبية ولجانها ، والتنمية بشتى أنواعها . ومناقشة مقولات اساسية

في فكر الثورة ، مثل السلطة بيد الشعب والثروة والسلاح ، ومثل مقولة التمثيل تدجيل ، ثم تأكيده على أن القرآن أساس التشريع ومناقشة مسئولية المثقفين وسلبيتهم أمام المجتمع .

لقد كانت دوماً قضية الديمقراطية هي مسألة نقاش وكما قال جون ستيوارت مل (ان فكرة الديمقراطية النقية وفقاً لتعبيرها هي حكم الشعب كله من جانب الشعب كله ممثلاً « تمثيلاً » متساوياً ، أما الديمقراطية كما تُفهم عامة وكما تمارس الآن فهي حكم الشعب كله بواسطة مجرد أكثرية منه ممثلة تمثيلاً شاملاً) .

إذا هذه هي مشكلة الديمقراطية التي عهد الكاتب إلى مناقشة مفاهيمها .. انها مشكلة البشرية عبر مسيرتها .. انها الأمل الدائم الذى يسعى اليه الإنسان ويناضل من أجله .. ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن مسيرة الإنسان عبر تاريخه هي مسيرة من أجل الحرية .. بكل أشكالها ، وهذا ما يجعل هذه القضية هي القضية الأكثر الفة لدى الإنسان في حياته وفي تفكيره ، في لقمة عيشه وفي كيانه السياسي .. ومن هنا كانت هذه القضية هي الأوراق الرئيسية في دفاتر الأشياء المألوفة .. لأن قضايا الحرية التي تناقشها هي الأشياء المألوفة في حياة الإنسان من أجل بحثه عن

الصيغة المثلى لتحقيق كرامته وتأمين حياته .

ولم تكن مسألة اختيار اسلوب الحوار صدفة ، وان كان الكاتب قد جعل مدخل الحوار انه كان حوار صدفة ، إلا ان استغلال اسلوب الحوار هو مسألة تدخل في صميم علاقة الشكل بالمضمون في العمل الأدبي .

نحن نعلم ان الحوار يتسم أول ما يتسم بالدرامية ، ويتسم من ثم بالجدلية ، وحينما يأخذ طرح جملة قضايا شكل الحوار فانها تحمل في طياتها بذور المضمون نفسه ، فأسلوب الحوار هو أول سمات الديمقراطية .. ولا غرو أن تأخذ مسألة الحوار أهميتها لأنها شكل فني في عرض القضايا السياسية التي طرحها الكاتب هذا الجانب ، ثم تأخذ أهميتها الأخرى من جانب ثان لأنها تعرض مشكلة الديمقراطية وبأسلوب ديمقراطي هو أسلوب الحوار .

ان الكثيرين يخافون من الإقتراب من مشكلة الحرية ومناقشتها ، وإن كانت تعيش بينهم أزمتها كل لحظة ، وحيما يبدأ الحوار حولها تكون تلك هي البداية الحقيقية لممارستها .

وقد طرح الكاتب مسائل كان يراها ضرورية لإثراء التجربة الديمقراطية في الجماهيرية ، وكان من أهمها : الدعوة

إلى مطالبة رؤساء اللجان الشعبية وأعضائها اقرارات الذمة المالية .

وهذا حواره حول هذه المسألة :

قال : لعل من المفيد طرح اقتراح محدد

قلت : ما هو ؟

قال : قد يكفي وجود اللوائح التي تنظم حركة اللجان الشعبية نظرياً ، وقد يكفي ان تقدم اللجان تقاريرها للمؤتمرات الشعبية .

قلت : وعملياً إلا يكفي ذلك ؟

قال : من المفترض عملياً أن يقدم رؤساء اللجان الشعبية وأعضائها اقراراً بالذمة المالية .

قلت : كل العاملين في الوظائف العامة يقدمونها ..

قال : اعرف ذلك .. ولكن النهي أعنيه أن يقدم رؤساء اللجان الشعبية اقرارات جديدة بعد اختيارهم أعضاء في هذه اللجان .

قلت : يبدو أن لاقتراحك وجاهته ..

.... الخ ..

إن هذا الحوار لم يأت عبر المصادفة ، ولم يكن ما دار حوله

بعيداً عن معاناة وعن إدراك ثوري لوضع ضوابط لا تعفي اللجان الشعبية ذاتها من تحمل مسئوليتها وضبط حركتها من وصول بعض الإنتهازيين إلى المواقع التي قد يستغلونها لصالحهم الشخصي على حساب الجماهير ، ولم يكن غريباً أن يأتي ما جاء في الحوار ليكون إحدى البنود التي ناقشتها المؤتمرات الشعبية الأساسية في جدول أعمالها ولتعرض على مؤتمر الشعب العام قراراتها ويقرها بعد ذلك .

لقد أكد الكاتب على أهمية الحوار في مسيرة الإنسان حينما قال « ان ما كتبه ليس شكلاً من أشكال المسرحية أو الرواية أو القصة ولكن ما أكتبه مجرد « حوار » حدث ويحدث وسيحدث مستقبلاً في أي مكان وفي أي زمان لأن قضايا الإنسان واحدة » .

وهذا قول مخلص إلى أبعد الحدود حينما يعتبر ان قضية الحرية كانت عبر مسيرة الإنسان وما تزال وستظل ، مثار حوار وجدل عميق لأنها تمس قضايا الإنسان .. ولذا فان الكاتب سواء أكان يقوم بعرض الأفكار التي تمس المشكلة الديمقراطية ، أو يقوم بعرض المشاكل التي تعترض التجربة الديمقراطية فانه يقدمها لنا عبر الحوار ، فهذه صورة للثورة

الشعبية وبناء الديمقراطية المباشرة التي تتمثل بممارسة الشعب لسيادته .

قال : كيف تمارس سيادة الشعب ؟

قلت : من خلال سلطته ..

قال : اتعنى البرلمان مثلاً ؟

قلت : لا وما أعنيه أن يمارس الشعب سيادته بنفسه لأن السيادة لا يمكن التنازل عنها ، فهي اما أن تكون بذاتها ، واما لا تكون ، فمن سمات السيادة الشمولية والديمومة ، ولا يمكن التنازل عنها وانها كل لا يتجزأ والبرلمان يتناقض ومضمون السيادة ، لأنه وجد ليكون ممثلاً للشعب تتجسد فيه – أي البرلمان – السيادة ، وبتمثيل البرلمان للشعب يتنازل الشعب عن سيادته » .

ثم يقدم الكاتب تفسيراً منطقياً لفشل أدوات الحكم المتمثلة في الفرد أو المجلس أو الحزب التي بامكانها تبديل أو تعديل أو الغاء القوانين بفعل القوة ولذلك يطرح شريعة الدين لتكون هي شريعة المجتمع لأنها اساسية غير قابلة للتبديل أو التغيير .

ولعل من أهم القضايا التي طرحها الكاتب وهو في اطار عرضه لبعض المشاكل التي تعترض مسيرة بناء المجتمع

الديمقراطي . ثلاث مشاكل وضعها أمام البصر والبصيرة لتكون مجسدة أمام الأعين لتجاوزها وهذه المشاكل والقضايا هي :

أولاً : سلبية المثقفين القابعين في صوامعهم يترقبون والتي تستدعي الثورة الثقافية .

ثانياً : البيروقراطية والتي أشار أن للثورة جولة معها .

ثالثاً : مغريات ترف النفط والتي يقضى عليها صنع الشعب القائد الذي بيده السلطة والشعب المنتج الذي بيده الثروة ، والشعب المسلح الذي بيده السلاح .

هذه بعض القضايا التي أثارها الكاتب في حواراته التي قدمت لنا التجربة الديمقراطية بتفصيلات واضحة لجزئيات قضاياها ومشاكلها .

وهكذا يصبح الحوار في حد ذاته حواراً لا يقدم التجربة الديمقراطية في ثوب أدبي بل يتعدى ذلك ليكون هو في ذاته جزءاً من حوار ديمقراطي يجب أن يتم ويناقش التجربة على كافة المستويات ، وليتخطى المواطن العربي في الجماهيرية سوراً من الوهم والخوف زرعه العهد المباد .. من مسألة السلطة .. والتي أصبحت بيده .. وليأخذ المواطن العربي في الجماهيرية

قضية الحرية الممنوحة .. مُسألة ممارسة وليس مجرد شعار ..
فمن ماذا يخشى حينما تصبح السلطة بيده ؟ أهو الخوف من
الحرية كما قال « اريك فروم » بأن من ظواهر أزمات العصر
الحديث أن الإنسان المعاصر يخشى من الحرية ويخاف من
ممارستها .

ان هذا الحوار هو بداية جادة لفتح حوارات متنوعة ،
حوارات صادقة مع النفس وحوارات شجاعة مع الآخرين ..

ولتكن حواراتنا عبر الأشياء المألوفة وعبر الأشياء غير
المألوفة إذا كانت تمس حياتنا .

وستظل دوماً مشكلة الحرية .. مشكلة الديمقراطية .. هي
أساس كل حوار يسعى لبناء وطن قوي ، وطن الحرية والرخاء
والسعادة لكل مواطن ..

« د. صالح خليل ابو اصبع »

- ١ -

حوار الصدفة

(لم أكن أريد لهذا الحديث أن ينشر ، ولا كان لهذا الحديث أن يكون .. لولا الصدفة وحدها .. فهى مبدئه .. وهى مسببة نشره ، فمى صديقي اطلب المغفرة ان غضب .. وسيكون في رحابة صدري مكان لغضبه .. وإلى الصدفة اطلب الشكر ..

فالصدفة مبعث الحديث .. ولها ولصديقي انشره ») .

قال : ما لكم تملأون الدنيا ضجيجاً ، وما تصنعون وما

تدعون من ثورة شعبية ... وديمقراطية شعبية مباشرة .. وجديدة وكأنكم ، عشقتم « الشعبية » حتى اصبحت دعاء على السنتكم .

قلت : وهل صدقنا مع أنفسنا يغضبكم إلى هذا الحد ..

قال : وهل أنتم صادقون فيما تدعون ..

قلت : الصدق وحده .. يحركنا .. وبالصدق وحده نفعل ما نفعل .. وللصدق وحده نتوجه .

قال : عجيب ما أسمع منك

قلت : وما العجب

قال : تقول الثورة الشعبية والديمقراطية الشعبية المباشرة أرجوك وبالصدق الذي تؤمن به ان تحدثني ..

قلت : لِمَ تستحلفني بالصدق ؟

قال : لأننا في عالم يعشق الزيف والكذب ..

قلت : تسألني عن الثورة الشعبية .. هي مرحلة في عمر شعبنا أرادت « ثورتنا الصادقة مع مضمونها أن تحقق ذلك المضمون المحدد في شعبيتها وتقدميتها بأن تجعل من خضور الجماهير دائماً ، فاعلاً ومستمراً .. ومتجسداً في لجان شعبية تقود مرافق الإنتاج والخدمات والإدارة . لأن الثورة تفقد معناها ومضمونها بدون

حضور الجماهير الكامل والدائم ، والمؤثر .. وما لم يكن هذا الحضور مؤثراً لظلت الجماهير كما مهملاً .. عندئذٍ يا صديقي – تتحول الثورة إلى مجرد انقلاب – بلا مضمون شعبي ولا تقدمي .. وهل ترضى الثورة الحقيقية أن تفقد مضمونها .. ؟

قال : ذلك مأزق ثورات العالم الثالث ..

قلت : هذا صحيح ما عدا ثورتنا ..

قال : بدأت أفهمكم .. وماذا بعد .. ؟

قلت : بعد مرحلة تصعيد الثورة الشعبية .. اصبح حضور الجماهير فاعلاً ومؤثراً ودائماً .. تمكنت به ومن خلاله من السيطرة على مقدراتها السياسية والإقتصادية عبر لجانها الشعبية .. اصبح حتمياً أن تعيد الثورة صياغة العلاقات السياسية في مجتمع الثورة .

قال : كيف ؟

قلت : بسلطة الشعب .

قال : هل ينتخب الشعب برلمانا ؟

قلت : لا ..

قال : هل تكونت الأحزاب السياسية ؛؟

قلت : لا ..

قال : كيف إذن .. ؟

قلت : بالديمقراطية الشعبية المباشرة ..

قال : هل تعني ما تقول « ديمقراطية مباشرة » .. ؟

قلت : نعم ..

قال : انتم تحلمون .. ولا يحلم إلا المثاليون ..

قلت : هل تعتبر التمسك بحرية الإنسان .. وممارستها مثالية ..

قال : ممارسة الحرية قننها الفكر الإنساني عبر قنوات محددة كالبرلمان مثلاً ..

قلت : ذلك التحديد الفكري كان سبباً في مصادرة حرية الإنسان .. على الرغم من ادعائه حمايتها .. وما تلك القنوات إلا مداخل .. صادرت حرية الإنسان .. وكبلتها ..

قال : هل تعني ان الديمقراطية الليبرالية .. من خلال التجربة البرلمانية .. مصادرة لحرية الإنسان .. وارادته . ؟

قلت : نعم ..

قال : ألم أقل انكم مثاليون . ؟

قلت : ان تخلي الإنسان عن حريته .. تخلى عن صفته كانسان، عن حقوقه الإنسانية ..

قال : تلك حقيقة ..

قلت : دعنا نثبت غيرها .. وان انتزاع كل حرية من ارادة الإنسان هو انتزاع كل اخلاقية من أفعاله ..

قال : وهذه حقيقة ..

قلت : وحيث ان حرية الإنسان تكمن في ارادته ، فله الحق في ممارسة هـــذه الإرادة الطبيعية ، ومن مجموع إرادات افراد الشعب .. تتكون الإرادة العـــامة للمجتمع .. وتكمن في هذه الإرادة مضمون السيادة .. وتتشكل بها .. ؟

قال : كيف تمارس سيادة الشعب . ؟

قلت : من خلال سلطته . ؟

قال : اتعني « البرلمان » مثلاً . ؟

قلت : لا .. وما أعنيه أن يمارس الشعب سيادته .. بنفسه ، لأن السيادة لا يمكن التنازل عنها ، فهي اما أن تكون بذاتها .. واما لا تكون .. فمن سمات السيادة«الشمولية والديمومة ، ولا يمكن التنازل عنها .. وانها كل لا يتجزأ ، « والبرلمان » يتناقض ومضمون السيادة .. لأنه وجد ليكون ممثلاً للشعب تتجسد فيه — أي

البرلمان – السيادة ، وبتمثيل البرلمان للشعب يتنازل الشعب عن سيادته ..

قال : انكم منطقيون ..

قلت : وصادقون أيضاً ..

قال : نعم وماذا بعد . ؟

قلت : المجالس النيابية إداة ديكتاتورية .. وتمثيل خادع للشعوب حيث تمارس هذه المجالس السيادة نيابة عن الشعوب ، وفي غيابها .. وفي كثير من الأحايين ضدها (حيث ولدت الديكتاتورية من رحم البرلمانات) .. وبمباركتها ..

قال : نعم صحيح ذلك ..

قلت : دعنا نثبت هذه الحقيقة أيضاً ..

قال : انكم تفتحون اسفار التاريخ امام البشرية لتعيد قراءة أفكارها .. ومقولاتها ..

قلت : نعم .. وبشرط واحد ..

قال : وما هو .. ؟

قلت : أن تحدثوا ثورة على رتابة التفكر في عقولكم ولتطيحوا باسترخاءات عقولكم عند أبواب المقولات.

قال : صدقتم .. انكم تحدثون ثورة على الرتابة والاسترخاء الفكري في عالمنا .. انكم تبهروننا بذلك ..

قلت : كانت الصحراء دائماً تبهر .. ومن عمق ذراتها ينبت الانبهار .. وعليها نعيد صنع الحياة ..

قال : نعم .. الحياة عقل وانتم تعيدون صنعها بعيداً عن زيف الأشياء المألوفة عندنا .

قلت : طحنتكم حضارة العصر واعتصرتكم حتى النخاع ، فلم تبق لكم غير الأشياء المألوفة والاسترخاء عند ابوابها .. حتى الفكر صاغته لكم — وفق معطياتها .. حتى اصبحت هذه المعطيات مألوفة لديكم .. وانتم تعشقون الاسترخاء عند أبوابها ..

قال : اقدر جهودكم .. واحاول أن أفهمكم .. ولكن ..

قلت : ولكن ماذا .؟

قال : سأتعبك فأنا لا زلت رهين الاسترخاء عند أبواب المألوف .. فلا تغضب .. لقد رفضتم كل التجارب ، ولكن من المستحيل عليكم أن تبقوا بلا دستور ..

قلت : هل تعني مجموعة المواد المكتوبة على الورق المصقول .؟

قال : كل المواد القانونية تكتب على ورق مصقول .

قلت : ومن يعد الدساتير .. وموادها .. ؟

قال : المشرعون ..

قلت : أليسوا من البشر . ؟

قال : نعم ..

قلت : تصنعها لجنة . أو يصنعها فرد أو يصنعها مجلس ..

قال : احدهم ..

قلت : معنى ذلك انها قابلة للتعديل .. والتغيير .. والالغاء ..

قال : نعم ..

قلت : معنى ذلك ان أداة الحكم المتمثلة في الفرد أو المجلس أو الحزب قادرة على تغييرها .

قال : نعم ..

قلت : بفعل القوة ..

قال : أحياناً ..

قلت : القوة قدرة مادية .. والخضوع لها فعل من أفعال الضرورة لا من أفعال الإرادة ..

قال : نعم .. هذا ما أكده « جان جاك روسو » ..

قلت : قلت والأقوى لا يبقى دائماً هو الأقوى ؟ .

قال : نعم ..

قلت : ومعنى ذلك ان تغيير ميزان القوى في المجتمع ... يؤثر في وضع الدساتير ..

قال : نعم ..

قلت : وأي معنى « لشريعة » من وضع البشر تتغير بفعل القوة ، ألا يكون ذلك متناقضاً لمضمون شريعة المجتمع ..

قال : محتمل ..

قلت : ألا تؤمن معي أن حرية الإنسان واحدة في عالمنا البشري ..

قال : بلى ..

قلت : لم تختلف « الدساتير » حتى في البلدان التي تدعي تطبيق الديمقراطية ؟ ألا يدل ذلك على أن أدوات الحكم في تلك البلاد هي التي أملت الدستور وفق رؤيتها .. ومصالحها ؟

قال : هذا صحيح ..

قلت : ان شريعة المجتمع اذن لا بد أن تكون ثابتة .. غير قابلة للتعديل .. والتغيير ...

قال : هذا شيء ضروري لاستقرار المجتمع ..

قلت : وكيف نضمن استقرار المجتمع .. ما لم نضمن ديمومة شريعته ..

قال : هذا مؤكد ..

قلت : وكيف تتأتى الديمومة والثبات في شريعة المجتمع وهو من صنع البشر ..

قال : لا أدري ..

قلت : ألا ترى معي أن حرية الإنسان مهددة ما لم يكن للمجتمع شريعة مقدسة ذات أحكام ثابتة ..

قال : هذه حقيقة ..

قلت : وكيف تتآتى هذه القدسية .؟

قال : لست أدري ..

قلت : شريعة الدين .. مقدسة وثابتة .. وهي تتعامل مع الإنسان .. كقيمة .. والدين تأكيد للقانون الطبيعي .. وهو الفيصل لمعرفة الحق والباطل والخطأ والصواب ..

قال : لقد أكدت لي عبر لقاء الصدفة — اننا نعيش — وكما قلت — مرحلة الاسترخاء الفكري عند أبواب المألوف عندنا .. ولعلي بأحاديثي معكم .. ومعايشة تجربتكم تخرجني من هذا الاسترخاء ..

قلت : اشكر الصدفة وحدها ، فهي مبعث هذا اللقاء .. وإلى اللقاء ..

- ٢ -

استرخاء العقول

« التقينا مرة أخرى وربما كان اللقاء صدفة — وربما كان غير ذلك ، فقد رتب لي صديقي لقاء معه ، استجابة لالحاحه .. وكان صديقي كعادته ملحاً فى دعوته واستجبت .. لدواعي الرغبة .. ولحوار الصدفة مع سبق الاصرار » .

قال : لعلك لم تنس عقولنا المسترخية عند أبواب المألوف .

قلت : كيف أنسى عشق عقولكم لهذا الاسترخاء .. وهي في استرخائها تشكل أزمة ضمير في أعماقنا ..

قال : أزمة ضمير كيف ؟

قلت : نريد أن ننقل إليكم صدقنا .. حتى تتوهج على جباهكم شمس المعاناة ..

قال : لم المعاناة .. ومن أجل ماذا ؟

قلت : معاناة الإنسان في عالم يكفر به .. معاناة إثبات وجوده .. في عالم يتنكر لهذا الوجود ..

قال : تلك أزمة حضارتنا ..

قلت : ومأزقها أيضاً ..

قال : ولكنه ليس المأزق الوحيد ..

قلت : ولكنه محور المأزق في حضارة العصر .. التي تعيش معادلة غريبة .. ففي الوقت الذي يصنع فيه الإنسان حضارة العصر .. ويطورها .. ويقننها .. تتنكر له هذه الحضارة بمعطياتها وتعمل على « قولبته » ضمن أبعادها المادية ..

قال : هذا مؤكد .. أرى أنك تعيش معاناة الإنسان .. وأزمته

قلت : إنني انسان أولاً .. وأخيراً ..

قال : هذه بداية طيبة لحوار الصدفة .. مرة أخرى .

قلت : الصدفة إذا تكررت أصبحت غير صدفة . إلا إذا أردتها أن تتحول إلى شيء « مألوف » .

قال : أعرف تخوفك من الشيء المألوف .. !

قلت : ليست كل الأشياء المألوفة أخافها ..

قال : أدرك ذلك .

قلت : وماذا بعد ؟

قال : قرأت « الكتاب الأخضر » ولدي ملاحظات ..

قلت : ملاحظات .. ما رأيك في معطياته الفكرية ؟

قال : إنه يمثل ثورة فكرية .. ستطيح باسترخاء عقولنا عند أبواب المقولات .

قلت : وماذا أيضاً . ؟

قال : وسيفتح أسفار التاريخ أمام البشرية لتعيد قراءة تجربتها بعقل مفتوح .

قلت : ايه ..

قال : وسيكون مفتاح المفكرين لفتح ما غلق دونهم من أبواب المعرفة .. ولكنكم تحتاجون إلى صبر .. ومثابرة .. حتى يذوب جليد الرتابة عن العقول لتفهم تجربتكم ..

قلت : هذا صحيح ..

قال : وستواجهون أصحاب العقول الحاقدة .. والمكابرة ..

قلت : هذا مؤكد ..

قال : ولكني أخشى عليكم اليأس ..

قلت : وهل من سمات البداوة .. اليأس ؟ إن الصبر زاد البدوي والمثابرة ركابه ..

قال : ولكني .؟

قلت : وهل لمست فينا رفة يأس .؟

قال : إلى حد الآن لا .. ولكنني أخاف أن تصبح رفة اليأس .. رعشة إن وجدت ..

قلت : لا تخشى .. فنحن مع الإنسان نعايش معاناته .. وهي تشكل أزمة ضمير لنا .

قال : أدرك ذلك تمام الإدراك ..

قلت : كما أننا نملك زاداً من الصبر .. والمثابرة ..

قال : وتحملون كل النقاء في أعماقكم ..

قلت : تلك مفخرتنا ..

قال : وبعد ..

قلت : هات ما عندك من ملاحظات ..

قال : الإيجابية .. أم السلبية .؟

قلت : ايهما .. ؟

قال : يتميز الكتاب الأخضر بـ ....

قلت : إيجابية هي إذن ..

قال : يتميز بدقته .. ووضوحه .. على الرغم من كونه مختصراً .. واختصاره يجعل منه مجموعة من النتائج ..تبدو وكأنها بلا مقدمات ..

قلت : ألا تكفيك تجربة الإنسان المعاصر .. وأزمة حريته .. كمقدمات ..

قال : نعم هي كذلك .. ولكن . ؟

قلت : ولكن ماذا . ؟

قال : لو كانت المقدمات واردة بين دفتيه .. لكان ذلك أجدى ..

قلت : ما جدوى أن تتكرر المقدمات .. وكلنا نلمس .. ولمسناها .. من خلال معايشتنا لأزمة الإنسان على مر العصور .. بطريقة أو بأخرى ..

قال : تكفيني تلك .. ولكن . !

قلت : ولكن ماذا ؟ ألا تكفيك معايشة تلك الصراعات الدائرة في كل مكان من أرضنا .. على أدوات الحكم .. بين الأحزاب .. والطبقات وغيرها ..

قال : تلك هي الحقيقة .. عالمنا يعيش « الصراع » وكأن الصراع قدر الإنسان ومحور حياته .

قلت : إلى متى تظل هذه الصراعات دون حسم..ومن يحسمها.؟

قال : حتى نقتنع بتجربتكم ..

قلت : وتطبقونها . !

قال : ذلك مرهون بقدرة الإنسان على حسم الصراع ..

قلت : ذلك .. هو قدر الإنسان ..

قال : وتلك أزمته . !

قلت : وماذا بعد .؟

قال : لنفتح صفحات الكتاب .. لانني وضعت بعض العلامات ..

قلت : وماهي ملاحظاتك . ؟

قال : أقدر جهدكم من أجل دفعنا إلى الإطاحة باسترخاء عقولنا عند أبواب المألوف .. ولكن قد يحتاج الأمر إلى انتظار نضج تجربتكم .. عملياً ..

قلت : وهذا يعني أن تجربتنا ناضجة نظرياً . !

قال : نعم .. هي ذلك عموماً . !

قلت : دعنا نثبت هذه الحقيقة ..

قال : وهي منطقية أيضاً .. ولكن على الرغم من منطقيتها .. تبدو أحكامها .. قاطعة .. وحاسمة ..

قلت : من حيث المضمون .. أو الشكل ..

قال : كليهما !

قلت : اعطني مثلاً محدداً ..

قال : عندما تقولون « ان النظم السياسية السائدة في العالم اليوم .. أنظمة ديكتاتورية وأن الحزب قبيلة العصر ..

قلت : هل أنت مقتنع أن هذه الأحكام صحيحة .. أم لا :

قال : تحتاج القضية إلى حوار حولها ..

قلت : لنأخذ القضية من بدايتها .. الا تسلم معي أن أزمة الإنسان .. حريته ..

قال : نعم ..

قلت : وأزمته أيضاً .. الكيفية التي يمارس بها هذه الحرية ...

قال : نعم ..

قلت : هذا هو مضمون الأزمة أم شكلها ؟

قال : كيف يمارسها .. ؟

قلت : نعم .. إن الصراع حول ممارسة الإنسان لحريته .. تشكل جوهر الصراع في عالمنا .. سواء أكان صراعاً سلمياً أو مسلحاً .. كصراع الطبقات أو الطوائف ، والقبائل أو الأحزاب .. أو الأفراد ..

قال : وبعد ..

قلت : نتيجة هذا الصراع فوز أحد اطراف الصراع ..

قال : بأي شيء تفوز ؟؟

قلت : تفوز « بأداة الحكم » وتفرض سيطرتها ..

قال : وبعد ..

قلت : نفرض جدلاً ان الفرد سيطر على أدوات الحكم .. ماذا تسمي النظام السياسي القائم على سلطته . ؟

قال : ديكتاتورية ..

قلت : وهي كذلك ديكتاتورية الفرد على جميع أفراد المجتمع .. أي على الشعب كله ..

قال : وبعد ..

قلت : لنفرض جدلاً أن الحزب هو الذي سيطر بعد الصراع على أداة الحكم .. ماذا تسمي النظام القائم على سلطته . ؟

قال : ديكتاتورية الحزب ..

قلت : وهي ديكتاتورية .. أيضاً .. ولكنها ديكتاتورية فئة من المجتمع على بقية فئاته .

قال : وماذا بعد ؟

قلت : لنفرض جدلاً .. أيضاً أن الطبقة هي التي سيطرت على أداة الحكم .. فماذا تسمي النظام القائم على سلطتها ؟

قال : ديكتاتورية الطبقة ..

قلت : وهي ديكتاتورية أيضاً .. « ديكتاتورية الطبقة » على بقية طبقات المجتمع ..

قال : وماذا بعد ؟ ..

قلت : إذن سيطرة الفرد على أداة الحكم ديكتاتورية .. وسيطرة الحزب ديكتاتورية وسيطرة الطبقةديكتاتوريه ..

قال : وسيطرة القبيلة أيضاً ديكتاتورية .

قلت : والأنظمة السياسية في عالمنا المعاصر لا تخرج عن هذه الأدوات .. فهي إما أن تكون حكم الفرد . أو حكم الحزب . أو الطبقة . أو حكم القبيلة .. وهي كما اتفقنا انظمة ديكتاتورية .

قال : هي كذلك .. ولكن – وكما أعرف ان مجتمعكم بدوي والقبيلة لا زالت تلعب دوراً حيوياً فيه .

قلت : القبيلة كيان إجتماعي ..

قال : ألا تخشون أن تتحول القبيلة إلى كيان سياسي ، تتسلط من خلاله – ومن خلال الصراع ، على أداة الحكم وبالتالي تقعون في قبضة « ديكتاتورية القبيلة » .

قال : نحن مجتمع بدوي .. هذا صحيح .. والقبيلة كيان اجتماعي طبيعي في المجتمع نحن نحافظ عليه .. وبالتالي نحافظ على القبيلة .. ولكن ضمن اطار دورها الطبيعي

الدور الإجتماعي والعلاقات المتولدة عنه ..

قال : ألا يحدث الصراع بينها ؟

قلت : احياناً ..

قال : ألا تخشون من استمراريته ؟

قلت : الصراع بينها وليد الجهل .. وعدم الوعي ..

قال : هكذا تبدأ الأشياء ..

قلت : ولكننا نحسم هذه الصراعات الهامشية .. وتعود الامور إلى وضعها الطبيعي ..

قال : ولكن الأخطار الكامنة .. تتفاعل ..!

قلت : وهل تريدون أن نلغى هذا الكيان الاجتماعي الطبيعي؟

قال : ذلك من معطيات العصر ..

قلت : نحن ضد هذا الاتجاه ولا نريد أن نقع فيما وقعت فيه المجتمعات « الغربية » ..

قال : وما هو هذا الخطأ ؟؟

قلت : المجتمعات الغربية ــ الغت الكيانات الإجتماعية الطبيعية ــ وتحللت بفعل هذا الالغاء ــ علاقتها .. كالقبيلة مثلاً .. وأقامت بدلاً منها كيانات سياسية صناعية .. واكتشفت بعد ذلك خطورة هذا الإلغاء .. وخطورة تحلل علاقاتها الإجتماعية فأرادت هذه

المجتمعات أن تستبدل العلاقات الطبيعية بعلاقات أخرى .. صناعية ففشلت . وما ظواهر « التمرد الاجتماعي » في المجتمعات الغربية .. إلا مردوداً لذلك الالغاء .

قال : ولكن هذه المجتمعات أوجدت مؤسسات اجتماعية بديلة .. كالأندية .. والمؤسسات والهيئات ..

قلت : كل علاقاتها مصطنعة .. غير طبيعية .. عمقت الفردية في نفسية الإنسان .. حتى أصبحت الفردية سمة الحياة الإجتماعية .. وتلك غربة !

قال : حقاً انها غربة الإنسان . على الرغم من كونه وسط الآخرين . !

قلت : وهل تريدنا أن نحفر هذه الغربة في مجتمعنا .؟

قال : لا .. لا أريد لكم ذلك .. ولكني أخشى عليكم ديكتاتورية القبيلة ..

قلت : الوعي بدورها الإجتماعي .. وانضباط علاقاتها ضمن هذا الدور .. هو الضمانة ..

قال : ألا ينعكس ذلك على الحياة السياسية ..

قلت : لا ينعكس ذلك .. إذا ما وعت القبيلة ككيان اجتماعي دورها الإجتماعي الفعال ..

قال : وهل يأتي الوعي بين يوم .. وليلة . ؟

قلت : الوعي يتأتى بالمثابرة .. ورؤية الأشياء بوضوح ..

قال : تلك مسئوليتكم ..

قلت : نعم هي مسئولية المثقفين في مجتمعنا ..

قال : لم ألمس وجودهم الفعال في المجتمع ..؟

قلت : تلك هي أزمتهم .. المجتمع ينتظرهم .. وهم قابعون في صوامع يترقبون .. !

قال : تلك أزمة المثقفين في العالم الثالث ..

قلت : هذا صحيح لولا احساسنا بتلك الأزمة لما أحدثنا ثورة ثقافية ..

قال : دعنا من هذه القضية .. حتى لا يبتعد حوارنا عن مساره ..

قلت : لك ذلك ..

قال : أود أن أدعوك بنفسي إلى لقاء آخر ولن أعتمد في لقائك على الصدفة وحدها ..

قلت : أنا سعيد بلقائك والحوار معك ..

قال : متى نلتقي .؟

قلت : الأسبوع القادم ..

- ٣ -

الحفر في جليد الاسترخاء

« التقينا لنستكمل حوار الأشياء المألوفة .. لعلنا نستطيع – عبر الحوار – أن نخط على دفترها بعضاً من قناعاتنا ، حتى نحفر في جليد الاسترخاء نفقاً إلى العقول .. فيسري فيها دفء الحقيقة ».

قال : أهلاً ..

قلت : مرحباً ..

قال : ماذا فعلت وجليد الاسترخاء لا يذوب ..؟

قلت : المثابرة تولد الدفء .. والدفء يذيب الجليد ..

قال : صدقت .. فالمثابرة عمل .. والعمل حركة .. والحركة

دفء .. والدفء يذيب جليد الأشياء ..

قلت : ونحن نعشق دفء الحركة ..

قال : هذا دليل الفعالية .. والصحوة ..

قلت : كنا في غفوة عند أبواب الأشياء المألوفة .. حتى أصبحت غفوتنا سباتاً داخل أسوارها ..

قال : وكيف أفقتم ؟

قلت : لتلك الصحوة قصة ..

قال : وما هي ؟

قلت : كنا في غفوتنا .. وسباتنا عند أبواب الأشياء المألوفة .. تخدرنا الأحلام وتصنع من خدرنا خيوطاً تكبلنا .. وتمتص حيويتنا .. ننتظر الفارس الذي يأتي في الأفق البعيد .. ندعو الله أن يأتي .. ولا يأتي .. حتى جاء فارسنا الحبيب على جواد الشمس ، جاء ، قابضاً على سيف الحقيقة ، جاء فأفقنا ، بأنفاس صدقه ، وتحطمت أبواب الأشياء المألوفة بدفء كلماته .. وأفقنا تبهرنا الحقيقة فقبضنا على سيوفها وشددنا أعنة الخيول نحو الآفاق . نعانق الشمس . ونسابق الريح ..

قال : قصة شاعرية ..

قلت : والشعر ضمير الحقيقة .. ونبضها الخافق ..

قال : تلك حقيقة ..

قلت : ارجو ألا تختلط الأشياء لنكمل حوارنا ..

قال : الجزء في الكل .. والكل واحد ..

قلت : بدأت تفهمنا ..

قال : لقد أحببتكم .. واحببت صدقكم .. وأريد أن أشد أعنة جوادي معكم آه .. ولكن ذلك لن يكون بالأمر السهل ..

قلت : قد يكون الأمر أسهل مما تتصور ..

قال : يبدو ذلك .. ألا تدرك معنى الاسترخاء عند أبواب المألوف .. ألا تريد لتلك الأبواب أن تتحطم ..؟

قلت : بلى ..

قال : أنت تدرك تداخل الأشياء وتعقدها ؟

قلت : أدرك ذلك .. وتلك مأساة العصر ..

قال : ان تداخل الأشياء وتعقدها . جعلت الإنسان المعاصر ذا بعد واحد . أصبح بلا هوية .. مجرد أداة .. ووسيلة انتاج .. واستهلاك .. وغول العصر .. بينهما يمتصه ولم يبق فيه إلا ذلك الاسترخاء .. حتى أصبح الإنسان أسير الأشياء المألوفة ..

قلت : صدقت .. لأن غول العصر يخاف الإنسان عندما

يحطم جليد الاسترخاء ..

قال : يخاف عقله .. وفكره ..

قلت : إذا استطاع العقل أن يحطم قيود المألوف ..

قال : وهكذا يا صديقي – يولد في رحم الخوف ، تعقد الأشياء ..

قلت : ولكن .. الأمر ليس مستحيلاً ..

قال : الاستحالة وهم .. نبت في أعماقنا حتى اصبح جزءاً منا ..

قلت : لنغتال الوهم ..

قال : كيف ؟

قلت : بتداعي الحقيقة .. رشفة رشفة .. حتى تكتمل ..

قال : ومن يسقينا ..

قلت : قناعتنا ..

قال : القناعة جزء من الحقيقة ..

قلت : وهي مدخلها .. وارضيتها ..

قال : نحتاج إلى زمن ..

قلت : بل جهداً نحتاج ..

قال : كليهما ..

قلت : على أن تكون الحرية محركة لارادة الإنسان ..

قال : عبر قناعته ..

قلت : وبتصميمه على تغيير الأشياء ..

قال : التغيير سمة حركتكم .. وتفكيركم ..

قلت : لاننا أدركنا جوهر الأشياء ..

قال : وما هو هذا الجوهر ؟

قلت : زيف الواقع .. وخداعه ..

قال : حتّى الإنسان ..

قلت : الإنسان رهين المحبسين ؟

قال : وما هما ..

قلت : وهم الاستحالة في أعماقه .. وغول العصر ..

قال : يقول الكتاب الأخضر أن النظم النيابية حل تلفيقي لمشكلة الديمقراطية ..

قلت : نعم هي كذلك .. وما أعتراضك ؟ ..

قال : النظم النيابية .. اختيار ديمقراطي .. أوجدتها الشعوب.

قلت : عندما كانت الشعوب تساق كالقطيع بواسطة الملوك وكان أقصى ما تطمح إليه الشعوب في تلك العصور — أن يكون لها ممثل ينوب عنها مع أولئك الحكام ..

قال : انها مشكل فني للممارسة الديمقراطية ..

قلت : ولكنها تحولت إلى جوهر الديمقراطية .. حتى أصبحت

المجالس النيابية حاجزاً شرعياً بين الشعوب وبين ممارسة الديمقراطية ..

قال : كيف ..؟

قلت : عزلت الجماهير عن ممارسة السياسة .. واحتكرت السيادة لنفسها « نيابة عنها » ..

قال : ايه .. ولكن الشعوب تمارس السياسة .. والسيادة .. بالإنتخاب ..

قلت : وهل تظن أن الوقوف في طوابير طويلة .. والقاء أوراق التصويت في صناديق الانتخابات ممارسة للسياسة .. انها من مظاهر العبودية ..؟

قال : عبودية ..؟

قلت : يقول « روسو » ان الشعب في اللحظة التي يعين ممثلين له لا يبقى حراً .. بل لا يعود له وجود ..

قال : ولكنه يقول أيضاً ان الشعب لا يكون حراً إلا أثناء انتخابات أعضاء البرلمان » ..

قلت : استكمل عباراته لأنه يستطرد قائلاً « وبمجرد أن يتم انتخابهم يصير عبداً .. بل لا يكون شيئاً » ..

قال : نعم .. قال ذلك ..

قلت : وماذا يعني بقوله هذا ؟

قال : لست أدري .. ما يعنيه ؟

قلت : يؤكد « ان التمثيل تدجيل » وطريق للعبودية .. هذا ما يعنيه ..

قال : ولكن « النظرية » .. وجدت بمباركة الشعوب .. حتى أمست اختياراً ..

قلت : انها تشكل وهم الاستحالة في أعماقكم ..و تمثل قدسية المألوف المتجمد عندكم ..

قال : ان الفكر الإنساني في جوهره ظاهرة مقدسة .

قلت : على أن يلبي حاجات المجتمع ويحل .. مشكلاته والا يظل ترفاً فكرياً ..

قال : نعم .. كذلك ..

قلت : والفكر في ذلك .. يعايش الواقع .. ويقتحم أسوار المشكلات حتى تصبح حلوله اختيارات ..

قال : هذا صحيح ..

قلت : وإذا عجز عن معايشة الواقع وثبت عجز اختياراته ..

قال : من الطبيعي تجاوزها ..

قلت : كيف يتم ذلك ؟

قال : بالغاء الاختيارات العاجزة ..

قلت : الديمقراطية النيابية كانت اختياراً فكرياً تصدى لحل مشكلة ..

قال : لانتزاع السلطة من قبضة الملوك .. ومشاركة شعبية أوسع منها ..

قلت : هذا صحيح .. عندما كان الملك يقول « أنا الدولة » والدولة أنا..

قال : ذلك منطق ملوك (الحق الإلهي » .

قلت : وهل تظل اختيارات تلك الحقبة .. قيداً لحركة الشعوب ؟ ..

قال : ولكن الاختيارات تتطور ..

قلت : هذا من طبيعة الاختيارات .. ولكنها تتطور نحو الأمثل ..

قال : هذا من جوهر الأشياء ..

قلت : وهل الاختيارات الديمقراطية .. تطورت ..؟

قال : نعم قننت أشكال ممارستها ..

قلت : كيف .. ؟

قال : ظهور الأحزاب السياسية ..

قلت : وما جدوى ظهورها . ؟

قال : بها تستكمل مظاهر ممارسة الديمقراطية ..

قلت : كيف ذلك ؟

قال : تتصارع فيما بينها .. وعن طريق برامجها لتحصل على الأغلبية « البرلمان » ..

قلت : ثم ماذا . ؟

قال : حزب الأغلبية يشكل الحكومة ..

قلت : ثم ماذا أيضاً ..

قال : والحزب الآخر يراقب .. وينتقد ..

قلت : ألا يعني ذلك .. أن مجلس النواب هو « مجلس الحزب » ؟

قال : لدية أغلبية أعضاء المجلس ..

قلت : هذا يعني بالضرورة – أن تكون الأغلبية ممثلة للحزب وليست ممثلة للشعب .

قال : جزء من الشعب .. والذين صوتوا له ..

قلت : السلطة التنفيذية « الحكومة » هي سلطة الحزب .. ستطبق برنامجه ..

قال : نعم ..

قلت : والحزب جزء من الشعب وبرنامجه .. برنامج الجزء .. ورؤيته السياسية .. رؤية الحزب ، وليست رؤية الشعب ..

قال : نعم هي كذلك .. ولكن الحزب يستشف برنامجه من حركة الجماهير ..

قلت : بل من حركة .. ورؤية .. المنظمين له ..

قال : إلى حد ما ..

قلت : خديعة كبرى ..

قال : كيف ذلك ؟

قلت : الحزب جزء من الشعب ..

قال : نعم ..

قلت : وبرنامجه .. برنامج الجزء ..

قال : نعم ..

قلت : والمجلس النيابي .. مجلس الحزب ..

قال : إذا تحصل على الأغلبية ..

قلت : وكيف يتحصل عليها . ؟

قال : بالدعاية « لبرنامج الحزب » . ؟

قلت : ديماغوجية ..

قال : للحصول على الأصوات ..

قلت : أو شرائها ..

قال : لا أظن ذلك ..

قلت : لِمَ ينجح الأغنياء فقط .. ودائماً .. في المجالس النيابية ؟

قال : لأن لديهم المال ، للصرف على الحملات الإنتخابية ..

قلت : الجوهر واحد .. مهما اختلفت التبريرات ..

قال : وماذا تستخلص من ذلك ؟

قلت : زيف ديموقراطية المجالس النيابية ..

قال : وماذا ؟

قلت : تتحكم فيكم ديكتاتورية الأقلية .. حيث أن الحزب أقلية . برنامجه برنامج الأقلية .. فاذا تحصل على الأغلبية .. في برلماناتكم .. أصبحت « الحكومة » حكومة الحزب أي حكومة الأقلية – وهكذا ..

قال : وهكذا ماذا . ؟

قلت : يموت الصدق . وينتصر الزيف في عالمكم ..

قال : أوتظن ذلك ؟

قلت : وتلك قناعاتي .. إن أثواب الزيف براقة .. تخلب الأنظار . والإنسان في عالمنا .. تبهره الأشياء البراقة ..

قال : كيف ؟ ..

قلت : ألا ترى أننا كرجال تبهرنا المرأة ذات الأشياء البراقة. حتى أصبحت صناعة الجمال المزيف صناعة رائجة ..

قال : هذه من طبيعة العصر ..

قلت : تزيين الأشياء .. حتى عبودية الإنسان ..

قال : كيف ؟ لا أظن ذلك ..

قلت : أرجو أن تنظر إلى « جوهر القضايا » لا شكلها ..

قال : أحاول ذلك ..

قلت : ولا تبهرك بهرجتها ..

قال : ليتني أملك نقاؤكم لأننا غير أنقياء ..

قلت : النقاء أن تنظر إلى جوهر القضايا ..

قال : لقد تلوثنا ببهرجة الأشياء ..

قلت : تلك مشكلتكم ..

قال : ومشكلتكم .. أيضاً ..

قلت : نحن نحاول أن نتجاوزها ..

قال : كيف ؟

قلت : باستنبات القيم الحقيقية ..

قال : وهل تستنبت القيم ؟

قلت : ألم يشكل استرخائكم عند أبواب المألوف .. قيمة ..؟

قال : نعم ..

قلت : ومن أنبتها ؟

قال : غول العصر .. ووهم الاستحالة ..

قلت : نحن نحاربهما باستنبات قيم الخير .. والعدل ..

قال : مبعث ذلك أصالتكم ..

قلت : حاولوا تزييفها ..

قال : هذا طبيعي ..

قلت : ولكن الصحراء قهرتهم ..

قال : الصحراء خزانة الاصالة ..

قلت : ومعملها ..

قال : على ذرات الصحراء يذوب الجليد ..

قلت : نعم .. جليد الاسترخاء ..

- ٤ -

ثقب في جدار الاستحالة

« ان ما اكتبه ليس شكلاً من أشكال
« المسرحية » أو « الرواية » أو « القصة»
.. ولكن ما اكتبه مجرد « حوار » حدث
.. ويحدث وسيحدث مستقبلاً في أي
مكان .. وفي أي زمان .. لأن قضايا
الإنسان واحدة ..

فالى « صديقي » اعتذر ، واليه
الشكر ولعلنا عبر الحوار نحدث ثقباً
في جدار الإسترخاء .. »

قال : أهلاً ..

قلت : مرحبا بك ..

قال : زيفت بهرجة الأشياء .. وبريقها حياتنا ..

قلت : لأنكم احببتم بهرجة الأشياء .. حتّى أذواقكم زيفت..

قال : الحب ذوق ..

قلت : الحب قيمة ..

قال : والذوق — عادة — أسرتنا ..

قلت : لو كان الحب — عندكم — قيمة ، لانتصر نقاؤكم ..

قال : لان العادة تغلبت على القيمة .. فخسرنا نقاء أنفسنا ..

قلت : لهذا .. نحن نصارع العادة .. حتّى لا تغتال القيمة ..

قال : بأي شيء تحاربون .. ؟

قلت : بسلاح الأصالة .. حيث ينبوع القيم ..

قال : انكم سلفيون ..

قلت : متخلفون .. تعني ؟

قال : لا .. لا أعني ذلك .. ولكنكم تحبون ماضيكم ..

قلت : الاحتفاظ بالاصالة .. لا يعني الاستغراق في الماضي ..

قال : وكيف تكيفون تعلقكم بالأصالة .. ألا تعني الاستغراق ؟ ..

قلت : في تراثنا يكمن المعقول .. واللامعقول ..

قال : وكيف تميزونها ؟

قلت : بالعقل المفتوح ..

قال : عناء ..؟

قلت : عناء محبب ..

قال : وهل تكمن في العناء محبة ؟ .

قلت : عناء البحث عن الذات .. جوهر الحب ..

قال : تلك صوفية ..

قلت : الصوفية فناء ذات الجزء .. في ذات الكل ..

قال : وتجرد من أدران الواقع ..

قلت : من أجل الواقع ؛؟

قال : إن دراويش الصوفية .. لا يهتمون بواقعهم ..

قلت : أتحدث عن جوهر الصوفية .. لا ظواهر ممارستها ..

قال : وكيف تفصل بينهما ؟ ..

قلت : كالفصل بين المعقول وبين اللامعقول ..

قال : كيف ؟

قلت : بالعقل المفتوح ..

قال : لم أفهم ؟

قلت : معايير العقل تحدد المعقول ، فتعشقه ، وتحدد اللامعقول فتنبذه ..

قال : بشرط أن تتوفر المعرفة ..

قلت : معرفة الخير والشر ، والحق والباطل ، والصدق والكذب ..

قال : وهل هذا يكفي .

قلت : تلك من طبيعة عقل البشر ..

قال : لو كان ذلك كافياً لما حدث الشر في عالمنا — ولما انتصر الباطل .. ولما سرى الكذب ..

قلت : عقل الإنسان يدرك الشر ، .. ويفعله .. ويعرف الباطل وينتصر له ..

قال : نسبياً نعم ..؟

قلت : مظاهر الزيف .. والقهر .. والاستبداد .. دلالات كافية ..

قال : لا زلت أقول بنسبية الأشياء ..

قلت : الإنسان الأبيض يقتل الأسود في أفريقيا .. ويضطهده في أمريكا .. وغيرها .. ألم يحسم العلم ان لا فرق بينهما بيولوجياً ؟ ..

قال : ذلك ظلم .. نحن نرفضه ..

قلت : ولكن .. غيرك لا زال يقبل به ؟ ..

قال : لأن الغباء لا زال يسيطر على العقول ..

قلت : التغابي فعل إرادي من الإنسان ..

قال : والغباء موروث فطري ..

قلت : لا أتحدث عن الأغبياء بالفطرة ، بل عن العقلاء ..

قال : ادرك ذلك ..

قلت : يمارسون الباطل .. وينتصرون له وهم يدركون كنهه ولكنهم يزينونه .. ويلبسونه ثوب الزيف .. ثم يقدمونه على أنه حق ، يجب الإنتصار له ..

قال : يحدث ذلك أحياناً ..

قلت : بل في الغالب .. حتى أصبح سمة العصر .. ومبعث قيمه ..

قال : وما الحل ؟

قلت : العودة إلى اصالة الإنسان .. وقيم فطرته .. وهذه هي الاصالة .

قال : يبدو الأمر منطقياً ..

قلت : وعندئذ فقط .. ينتصر العقل وبمعاييره ينفصل المعقول عن اللامعقول .. وتسود الاصالة ..

قال : صدقت ..

قلت : وهكذا .. تفنى ذات الجزء في ذات الكل ..

قال : عدنا إلى الصوفية من جديد ..

قلت : حياتنا الحقيقية .. صوفية ..

قال : انك تفلسف الأشياء ؟

قلت : عندما ينتصر الحق وينتصر الخير في فعل الإنسان اليست تلك صوفية ؟

قال : نعم هي كذلك ولكن .. ما علاقة هذا الحديث بحوارنا ..؟

قلت : ان جوهر الأشياء واحد ..

قال : كيف ذلك ؟

قلت : عندما يصبح الباطل .. مبعث السلوك .. تتكيف الأشياء والقضايا وفق منطلقه ..

قال : ان حوارنا موقف عقلي محض ولا علاقة له بالممارسة والسلوك ..

قلت : الممارسة .. والسلوك ، تجسيد لذلك الموقف العقلي ..

قال : دعنا من فلسفة الأشياء ..

قلت : الفلسفة هي الحياة ..

قال : تلك قضية .. وما نحن فيه قضية أخرى ..

قلت : ألم تقتنع بترابطهما .. ؟

قال : لا ..

قلت : سنرى ؟

قال : يقول الكتاب الأخضر ان « اعتى الديكتاتوريات التي عرفها العالم قامت في ظل المجالس النيابية » ..

قلت : وما اعتراضك . ..

قال : ليست كل الديكتاتوريات وليدة المجالس ...

قلت : التاريخ يشهد بصدق هذه المقولة .. من أبرز هتلر في ساحة التاريخ .. أم أن هتلر غير ديكتاتوري ..

قال : غاب عني ذلك .. وكأنني لم أدرس التاريخ ..

قلت : وبعد . ؟

قال : يقول الكتاب الأخضر أيضاً « ان التأثير السلبي والمدمر للصراع القبلي أو الطائفي في المجتمع ، هو نفس التأثيرالسلبي والمدمر للصراع الحزبي في المجتمع » ألا تبدو المقارنة غير مكتملة في هذه المقولة ؟

قلت : كيف ؟

قال : الصراع القبلي .. أو الطائفي .. يتسم بالعنف ..

قلت : والصراع الحزبي أيضاً ..

قال :. لم يحدث ان تحول الصراع الحزبي .. إلى صراع عنف ..

قلت : لعلك لم تعايش الحرب الأهلية في اسبانيا .. ألم تكن صراعاً حزبياً عنيفاً ؟

قال : ولكن الصراع القبلي .. والطائفي .. أكثر عنفاً ..

قلت : عندما ترفع البندقية .. تتساوى درجة العنف .. سواء بين الطوائف أو القبائل أو الأحزاب ..

قال : حجتك قوية دائماً ..

قلت : ومنطقية أيضاً ..

قال : لا أتفق مع ما جاء بالكتاب حول « حول نشأة الأحزاب » ولو أخذنا بمنطقه ــ لقلنا أن النقابات والاتحادات بحكم مصالحها الواحدة .. ورؤيتها الواحدة . ومكانها الواحد ــ من الممكن أنتتحول إلى حزب ..

قلت : دعنا نجزء ألاجابة على ذلك ..

قال : ولم ؟

قلت : ما هو الحزب ؟

قال : وما يدريي .. لكل منا تعاريفه ..

قلت : لنحتكم إلى الموسوعات السياسية ..

قال : وماذا تقول موسوعاتك ؟

قلت : تقول « الموسوعة السياسية » الحزب السياسي مجموعة من الناس ذوي الإتجاه الواحد والنظرة المتماثلة والمبادىء المشتركة ، يحاولون أن يحققوا الأهداف التي يؤمنون بها » .

قال : يبدو ان ما جاء في الكتاب الأخضر صحيحاً ..

قلت : هل نتفق على هذا التعريف . ؟

قال : سيان ..

قلت : لا بد أن نتفق على تعريف محدد .. ألم تقل لكل منا تعاريفه ؟

قال : اتفقنا ..

قلت : وما هي النقابات ؟

قال : ماذا تقول الموسوعات السياسية ؟

قلت : النقابات في المجتمع الرأسمالي .. هي « جمعيات تشكل لأغراض المساومة الجماعية بشأن شروط الاستخدام .. ولتنمية مصالح اعضائها الاقتصادية والإجتماعية عن طريق الضغط على الحكومات والهيئات التشريعية وقد تلجأ إلى العمل السياسي .. لتحقيق ذلك .. » .

قال : وفي المجتمع الاشتراكي . ؟

قلت : حيث يسيطر الشعب على مقدراته الاجتماعية والإقتصادية ــ تكتسب النقابات ، مفهوماً جديداً .. إذ يقع عليها عبء المشاركة في تنفيذ خطط التحول ..

ورفع القدرة الانتخابية وتعميق الوعي لدى منتسبيها بفلسفة المجتمع ..

قال : وماذا يعني ذلك ؟

قلت : هنا تكمن الضمانات التي تحول دون تحول النقابات إلى أحزاب ..

قال : ما هي هذه الضمانات ؟

قلت : في المجتمع الرأسمالي .. حيث تمتلك « الطبقة » كل المقدرات الإقتصادية .. تكتسب النقابات دورها المطلبي .. والسياسي .. لتنتزع عبر ضغوطها – بالإضرابات المحدودة والمفتوحة – بعض المكاسب المادية لمنتسبيها ، وفي كثير من الأحيان تتحول الضغوط المطلبية .. إلى ضغوط سياسية ..

قال : وفي المجتمع الإشتراكي .. ألا نلمس ذلك . ؟

قلت : يستحيل حدوثه ..

قال : لماذا ؟

قلت : لان الشعب كله يسيطر على المقدرات الإقتصادية ويعيد توزيع الثروة بشكل عادل .. بين الجميع ..

قال : والعمل السياسي ؟

قلت : كل الشعب اعضاء في المؤتمرات الشعبية الاساسية ..

قال : والنقابات ؟

قلت : دورها مهني إذ عليها المشاركة في تنفيذ خطط التحول ورفع القدرة الإنتاجية في المجتمع ..

قال : وماذا بعد ؟

قلت : وهي تسيّر مواقع الإنتاج .. بلجانها الشعبية ..

قال : الا تصطدم بجدار البيروقراطية ..

قلت : البيروقراطية مقتل طموح العالم الثالث ..

قال : وهي أداة انتكاس التنمية فيها ..

قلت : ولكننا حطمنا فعاليتها ..

قال : كيف تم ذلك ؟

قلت : بالثورة الشعبية ..

قال : ولكن مظاهر سيطرتها موجودة في مجتمعكم ..

قلت : لنا معها جولة أخرى ..

قال : بعض « اللجان الشعبية » اكتسبت مظهرية البيرواقرطية.

قلت : بعضاً من رؤساء اللجان الشعبية .. تعني ؟

قال : نعم هذا ما أعنيه ..

قلت : عقلية بيروقراطية .. ستسحقها الجماهير ..

قال : آمل ذلك .. اني أخاف أن تتحطم طموحاتكم على جدار البيروقراطية ..

قلت : ما دمنا قد وعينا بمخاطرها .. فسنسحقها ..

قال : في الجولة القادمة ..

قلت : لتنتصر قيم الفطرة ..

قال : وما هي ؟

قلت : قيم الحق .. والصدق .. والخير ..

قال : وبعد ؟

قلت : تنتصر الصوفية ..

قال : وماذا يعني انتصارها ؟

قلت : فناء ذات الجزء .. في ذات الكل ..

قال : عدنا للفلسفة ..

قلت : نحن نحيا بها .. ومن أجلها ..

قال : تلك قضية أخرى ..

قلت : جوهر الأشياء واحد ..

٥

شموخ الرجال

« الحوار وسيلة لاثراء الفكر ..
وارضية للقناعة خاصة عندما يكون
الحوار عقلانياً .. »

قال : مرحبا ..

قلت : أهلاً ..

قال : ان حبكم لأرضكم . يشد الانتباه ..

قلت : لأن لها في وجداننا .. قيمة ..

قال : ما هي ؟

قلت : ارتوت ذراتها بالدم ، فأورقت الوفاء .. والوفاء قيمة.
وحرثتها سنابك الخيل فكان الحب حصادها .. والحب

قيمة وتوهجت منها الدروب ، فكانت شمس الانتماء .. والإنتماء قيمة ..

قال : والقيمة يصنعها النقاء .. ويحميها شموخ الرجال ..

قلت : لانهم يدركون مضمونها ..

قال : ومضمونها الكبرياء ..

قلت : كبرياء .. حتى الغرور ..

قال : ماذا تعني ؟

قلت : آه .. لو تقرأ تاريخنا .. لادركت ؟

قال : لم أقرأ إلا القليل ..

قلت : ثلاثون عاماً .. وسنابك خيلنا تحرث الأرض .. ثلاثون عاماً وقوافل الشهداء لم ينقطع لها ظل .

قال : قرأت عن بطولاتكم ..

قلت : ملحمة في تاريخ الإنسان تحمل مضامين الانتماء ..

قال : جميل أن يموت المرء من أجل وطنه ..

قلت : وجميل أكثر أن يعيش من أجله ..

قال : ذلك هو الإنتماء ..

قلت : والإنتماء مسئولية ..

قال : والمسئولية عمل ..

قلت : والعمل ، شرف وأمانة ..

قال : نعم .. ولكنني ألمس بعض مظاهر اللامسئولية من بعض شبابكم ..

قلت : مظهر الأشياء قد ينم عن ذلك ..

قال : تلك من مغريات ترف النفط

قلت : قد يكون ذلك ؟

قال : أخاف عليكم من تناميها ..

قلت : يكمن في مظاهرها بعض الخوف .. ولكن ..!

قال : ولكن ماذا ؛؟

قلت : ولكن ستختفي هذه المظاهر ..

قال : أأنت على يقين ؟

قلت : نحن نسعى لخلق الشعب القائد ، الذي بيده السلطة .. والشعب المنتج .. الذي بيده الثروة .. والشعب المسلح .. الذي بيده السلاح .. والتجربة كلها تبنى على سواعد الرجال ..

قال : وتحملهم المسئولية ..

قلت : الرجال تخلقهم المسئولية ..

قال : صدقت .. ولكنها مراهنة صعبة ..

قلت : قد تكون أصعب المراهنات . أسهلها ..

قال : ماذا تعني .. اصدقني القول ؟

قلت : قد يراهن الإنسان على القوة .. فتهزم .. وقد يراهن على المال .. فيفنى .. وقد يراهن على السلطة .. فتضيع .. ولكن المراهنة على الشعب .. هي الأبقى ..

قال : صدقت .. ذلك هو اليقين ..

قلت : اليقين .. يخلق الانتماء .. والادعاء يولد الانتهازية ..

قال : ألا تخشون « الثورة المضادة » ..

قلت : دعنا نحدد مضامين مقولاتنا ..

قال : نطيح بالاسترخاء عند أبوابها ..

قلت : ونمزق وشاح غموضها ..

قال : وبعد ؟

قلت : الثورة .. تقدم أي عمل مضاد لها يعني التخلف .. وهل يحمل التقدم . دعوة للتخلف ؟

قال : هذا مستحيل ..

قلت : كاستحالة أن تكون الثورة انقلاباً ..

قال : هذا صحيح ..

قلت : إذن .. نحدد مفهوم العمل المضاد للثورة ..

قال : هذا ما أريد فهمه ..

قلت : لكل عمل . قوة تحركه ..

قال : نعم ..

قلت : ولكل قوة تعمل .. هدف محدد ..

قال : نعم ..

قلت : ولكل هدف .. مضمون ، ومبررات ..

قال : نعم ..

قلت : ما هي مبررات العمل المضاد للثورة ..

قال : قد تكون مبررات موضوعية .. أو قد تكون ذاتية ..

قلت : عندما تصبح الثورة مضمون الحياة .. تنتفي المبررات..

قال : كيف ؟

قلت : عندما يسود العدل .. ينتفي الظلم .. وعندما تسود المساواة .. يختفي الاستغلال ، وعندما تزدهر الحياة .. بنبض الحب .. يموت الحقد .. فأين هي المبررات ؟

قال : قد يوجد الظلم .. فالعدل المطلق .. استحالة ..

قلت : مبررات فردية .. هي إذن ؟

قال : نعم .. ولكن بتراكمها تصبح ظاهرة موضوعية ..

قلت : ولم يظلم الإنسان ؟

قال : تتعدد الأسباب ..

قلت : إذا كان ظلم الإنسان .. ظلماً .. فالمساواة عدالة ..

قال : حركة المجتمع .. هي التي تحدد مسار المساواة ..

قلت : « ألا يكون أي مواطن من الغنى ، بحيث يستطيع

شراء مواطن آخر » ..

قال : وان لا يبلغ أي مواطن حداً من الفقر يضطره أن يبيع نفسه .. هكذا قال « روسو » .

قلت : وعلى ذلك تختفي المبررات ..

قال : وتبقى المبررات الذاتية ..

قلت : كذلك تختفي المبررات الذاتية ..

قال : كيف ؟

قلت : ان نجاح ممارسة الشعب لسلطته .. عبر المؤتمرات الشعبية ، واللجان الشعبية والنقابات والاتحادات يعقد حركة المجتمع .. ويصبح مستحيلاً أمام أي فاشي أو ديكتاتوري أن ينتزع السلطة من الشعب ..

قال : كيف ؟

قلت : مفهوم السيادة في أنظمة الحكم المختلفة ، تتجسد في الفرد ، أو الأسرة الحاكمة ، أو الحزب أو الطبقة .. وعندما تنتصر قوة ما في المجتمع تنتزع حق السيادة ..

قال : وتنتزع الشرعية ..

قلت : بفعل القوة ..

قال : هذا صحيح .

قلت : بذلك استمرت الصراعات بين الأفراد أو الأحزاب أو الطبقات على السلطة ..

قال : نعم .. وماذا في تجربتكم ..

قلت : يستحيل على الفرد مهما كانت قوته أن يواجه الشعب كله .. من خلال مؤتمراته ولجانه الشعبية .. ونقاباته واتحاداته ..

قال : هذا يتطلب أن يستوعب الشعب كله .. السلطة ..

قلت : هذا هو مضمون عصر الجماهير ..

قال : يؤكد الكتاب الأخضر « أن عصر الجماهير ، يزحف حثيثاً نحونا بعد عصر الجمهوريات » ما هو عصر الجماهير .. وما هي سماته ؟

قلت : هو عصر انعتاق الإنسان .. وهو عصر إنهاء كل أنماط الديكتاتورية .. والعبودية والقهر والاستبداد .. والاستغلال ، التي تكبل الإنسان ، سواء كانت ديكتاتورية سياسية أو عبودية اجتماعية ..

قال : ثم ماذا ؟

قلت : عصر سلطة الشعب الحقيقية ..

قال : كيف ؟

قلت : بالديمقراطية الشعبية المباشرة ..

قال : ذلك أمر واضح .. ولكن ؟

قلت : لقد اتفقنا على أن « حكم الفرد » ديكتاتورية الفرد على كل الشعب .. « وحكم الأقلية » ديكتاتورية الأقلية على كل الشعب .. وكذلك حكم القبيلة أو الطائفة .

قال : نعم .. اثبتنا هذه الحقيقة ..

قلت : وهي أدوات قهر للانسان .. سياسياً .. يتطلب الانعتاق منها .. ووضع السلطة بيد الشعب .. كل الشعب ..

قال : والعبودية الاجتماعية ..

قلت : بمنع الاستغلال . والغائه من جوهر علاقات الإنسان بالإنسان ..

قال : تلك اشتراكية ولكن كيف يمنع الاستغلال ويلغى ؟..

قلت : الغاء استئثار القلة لثروة المجموع ..

قال : لم استوعب ذلك .. كيف ؟

قلت : كل الحلول الفكرية للمشكل الإقتصادي .. دعمت هذه المقولة ..

قال : كل الحلول ..

قلت : نعم .. في المنظور الرأسمالي .. والشيوعي ..

قال : انكم تبالغون ؟ .

قلت : دعنا نحلل معطياتها الفكرية ..

قال : باختصار ..

قلت : بشكل مختصر .. « ان المنظور الرأسمالي أرسى حلولاً قطعية للمشكل الإقتصادي » حيث أطلق منظوره الفكري ، النشاط الفردي في مجال الاقتصاد ، ضمن مقولته « دعه يعمل . دعه يمر » .. فولدت الرأسمالية .. التي ركزت الثروة بكل وسائل الاستغلال والاحتكار وغيرها بيد القلة ..

قال : تحليل موضوعي ..

قلت : فملكت القلة الثروة .. وسيطرت بها ومن خلالها — على السلطة .. وسيرتها وفق منظورها .

قال : هذا جد صحيح ..

قلت : فولدت ديكتاتورية الطبقة الرأسمالية ، سياسياً .. والعبودية الإجتماعية ..

قال : والمنظور الشيوعي ..

قلت : صادر الملكية الفردية .. والنشاط الفردي في مجال الإقتصاد ، ويعتقد انه بتلك المصادرة الغى الاستغلال.

قال : ألم يختفي الاستغلال ..

قلت : نظرياً ..
قال : وواقعياً ..
قلت : استبدل استغلال الفرد ، باستغلال الطبقة .. فولدت ديكتاتورية طبقة البروليتاريا .
قال : وهذا استئثار الطبقة بثروة المجموع ..
قلت : وهكذا يتبين ان كلا المنظورين .. دعما استئثار القلة ، لثروة كل الشعب ..
قال : هذا مؤكد ..
قلت : ان الغاء الديكتاتورية السياسية يرتبط بالغاء العبودية الاجتماعية وبالغائها يتم انعتاق الأنسان ..
قال : وبانعتاقه ..
قلت : يسود عصر الجماهير ..
قال : وإلى أن يحدث الانعتاق الحقيقي للإنسان ..
قلت : يظل الإنسان رهين غربته المجدبة .. حتى يفك اسر نفسه من متاهات الغربة ..
قال : يتطلب الأمر معجزة ..
قلت : ذلك ليس مستحيلاً .—
قال : ألم تقل ان الاستحالة وهم صنعناه ..
قلت : واصبح الإنسان رهين وهمها ..
قال : يحتاج الأمر إلى كبرياء الرجال ..

٦

الانسان نبض المعجزة

« إذا كان الحوار طريقاً للإيمان
فان المعايشة شراع الانتماء » .

قال : أهلاً

قلت : مرحبا

قال : يخالجني الاندهاش من شفافية نقائكم ..

قلت : ولم الإندهاش ؟

قال : لأنني ألمس في حركة مجتمعكم مظاهر الصوفية ..

قلت : وما هي الصوفية ؟

قال : نضال من أجل الحق ، والحب ..

قلت : ولم لا يكون الحق والحب محتوى حركة الإنسان في عالمنا؟

قال : تتعدد الأسباب . والعوامل تتحكم في حركته ؟
قلت : ذلك جوهر الاستلاب ..
قال : وذلك مظهر لتزييف الأشياء ..
قلت : الاستلاب جوهر .. والتزييف مظهره ، والإنسان رهينهما ..
قال : حتى أصبح النضال من أجل الحق .. غربة ..
قلت : وما العمل . ؟
قال : نحتكم إلى نقاء الإنسان ..
قلت : وهل النقاء لا زال موجوداً ؟
قال : قد يكون .. وقد لا يكون موجوداً ؟ ..
قلت : وبين هذا .. وذاك .. تتحدد مأساة الإنسان ..
قال : وهل ينتصر الإنسان ؟
قلت : حتمية الحياة تؤكد انتصاره ..
قال : وهذا ما يؤكده احتفاظكم بنقائكم على الرغم من مغريات ترف النفط ...
قلت : لأن الزيف لم يسرق منا العقل .. والوجدان ..
قال : كيف قهرتم الزيف ؟
قلت : احتفظنا بالحب .. والحب جوهر النقاء ..
قال : وبعد ..

قلت : والصحراء علمتنا أن لا نكره .. وفي رحابها يموت الحقد ..

قال : وعلى ذراتها تتحطم أعاصير الزيف ..

قلت : وهي مصدر قوتنا .. علمتنا البساطة .. وغرست في أعماقنا شموخ الكبرياء .. فأصبحنا أقوياء .. بقيمنا ..

قال : ليت كل الصحارى .. كصحرانكم ..

قلت : دعوا الاشراق يغسل وجه صحرائكم ..

قال : يحتاج الأمر إلى معجزة ..

قلت : أعطانا الله معجزته .. وعليكم فهمها ..

قال : رحلة الفهم قد تطول .!

قلت : ولكنها رحلة بحث ممتعة ..

قال : لقد شددت عنان جوادي معكم .. وآمل ألا تطول رحلتي .. ؟

قلت : قريبة هي .. وبعيدة في آن واحد .. قريبة إذا أدركت جوهرها .. وبعيدة إذا تمسكت بمظاهرها ..

قال : لا زلت أثقب جدار الاسترخاء في عقلي ..

قلت : وفي نبض قلبك ..

قال : العقل .. والقلب معاً ..

قلت : نعم .. كليهما معاً ..

قال : الحوار معكم متعة .. ومعايشة التجربة ، وسط الجماهير مصداقاً لها ..

قلت : الحوار قارب الايمان .. والمعايشة شراعة ..

قال : لقد زرت بعض مشاريع تحولكم ..

قلت : وماذا رأيت ؟

قال : رأيت جهداً عظيماً في مجالات الزراعة والصناعة .. والاسكان ..

قلت : وماذا رأيت أيضاً ؟

قال : ومشاريع الصحة .. والتعليم .. والطرق ..

قلت : ما هي انطباعاتك ؟

قال : ذهلت .. مما شاهدت ..

قلت : لم تشاهد إلا القليل ؟ وماذا ؟

قال : ادركت أنكم .. تصنعون نبضاً جديداً للحياة ..

قلت : وماذا ؟

قال : وتعطون لنبض الحياة .. قيمة .. ولكنكم تظلمون أنفسكم .. لم لا تعلنون عن انجازاتكم ؟

قلت : لان شراع المعايشة أصدق ..

قال : حتى المعايشة تحتاج لمن يعلن عن محصلتها ..

قلت : صدقت ..

قال : انكم صنعتم ، وتصنعون معجزة ..

قلت : بالثورة .. صنعنا كل ما رأيت .. وما لم تر ؟

قال : من الطبيعي لأن الأرض كانت موجودة .. والثروة كانت موجودة .. ولكن الثورة ذاتها .. كان الشيء المفقود ..

قلت : وعندما وجدناها .. تحررنا ..

قال : تحررت ارادتكم .. وبتحررها صنعتم المعجزة ..

قلت : المعجزة .. تكمن في أعماقنا ..

قال : صدقت .. المعجزة تحتاج إلى نبض يبعث فيها الدفء .. والحركة ..

قلت : الإنسان نبض المعجزة ..

قال : لقد عايشت مرحلة تصعيد الثورة الشعبية ..

قلت : وماذا لمست فيها ..

قال : لمست .. صدق الجماهير .. واحساسها الدافق بالانتماء .. لعصرها .. عصر الجماهير ..

قلت : وماذا بعد ؛؟

قال : شعرت بالأنبهار .. والدهشة .. وسقطت بانبهاري كل التصورات الخاطئة عن حركة الجماهير — وهي تصنع بارادتها المتحررة .. قدرها ..

قلت : بل تصنع حاضرها .. وغدها ..

قال : لقد جعلتني لحظات المعايشة أسافر في عيون الغد .. اتلمس موقعي في عصر الجماهير ..

قلت : المعايشة شراع الانعتاق في عصر الجماهير ..

قال : يقول الكتاب الأخضر .. « ان المجتمع هو الرقيب على نفسه » ..

قلت : وماذا في ذلك .. ؟

قال : ألا تخشون الانحراف .. ما هي ضمانات عدم الإنحراف

قلت : رقابة الشعب هي الضمانة ..

قال : لنحدد السؤال .. ما هي ضوابط عدم انحراف اللجان الشعبية ؟

قلت : القانون يحددها ..

قال : وكيف تضمنون عدم تلاعب بعض رؤساء اللجان الشعبية ؟

قلت : اللجان ذاتها ..

قال : كيف ؟ لم أفهم ؟ هل اللجان تقدم تقاريرها .. ولمن ؟

قلت : رقابة اعضاء اللجان الشعبية من خلال اجتماعاتهم الدورية ، المنظمة .. حيث يراقبون .. ويوجهون رؤساء لجانهم ..

قال : أيكفي هذا ؟

قلت : وتقدم اللجان الشعبية — تقاريرها الدورية للمؤتمرات الشعبية .. وعلى أساسها يتم محاسبة اللجان .. ويتم توجيهها ..

قال : وهذا يعني .. وجود « لوائح داخلية » تنظم أعمال اللجان الشعبية .. بمضابط جلساتها .. وغير ذلك .

قلت : من المؤكد وجودها ..

قال : لعل من المفيد طرح اقتراح محدد ..

قلت : ما هو ؟

قال : قد يكفي وجود « لوائح » تنظم حركة اللجان الشعبية .. نظرياً .. وقد يكفي أن تقدم اللجان تقاريرها للمؤتمرات الشعبية ..

قلت : وعملياً .. ألا يكفي ذلك ؟ ..

قال : من المفترض عملياً — أن يقدم رؤساء اللجان الشعبية وأعضائها إقراراً بالذمة المالية ؟

قلت : كل العاملين في الوظائف العامة .. يقدمونها ؟

قال : اعرف ذلك .. ولكن الذي اعنيه أن يقدم رؤساء اللجان الشعبية اقرارات جديدة بعد اختيارهم اعضاء في هذه اللجان ..

قلت : يبدو ان في اقتراحك وجاهة ..

قال : اظن ذلك .. وبهذا تستكمل ضمانات عدم الإنحراف نظرياً ، وعملياً ..

قلت : صدقت ..

قال : وبذلك ينتصر نقاؤكم ..

قلت : على كل مظاهر التزييف ..

قال : وعلى كل استلابات القيم ..

قلت : لتشرق شمس النقاء ..

قال : تغسل الوجوه من مظاهر الزيف ..

قلت : عندئذ – يا صديقي – تصبح عيون الغد ، أكثر اشراقاً وبريقاً ..

قال : تموج بالنماء .. والإنتماء .. وتبشر بولادة الاشراق في عالمنا ..

قلت : ليغسل اشراق العيون وجه الحياة المتغضن بالزيف ..

قال : وينتصر النقاء ..

قلت : بل لتنتصر الصوفية ..

قال : صوفية الفارابي في مدينته .. انكم تجسدون احلام الحكماء ..

قلت : اليوتوبيا .. تعني ..

قال : يوتوبيا عصرية ..

قلت : حيث تفنى ذات الجزء في ذات الكل ..

قال : تلك مسئوليتكم .. أن تزدهر الحياة بالحب .. وأن يمسح الاشراق وجه المدن الحزينة ..

قلت : ولكنها مسئولية عظيمة ..

قال : تحتاج إلى الفعالية ..

قلت : شعبنا يمتلكها ..

قال : وتحتاج إلى المثابرة ..

قلت : المثابرة ركاب البدوي .. ونحن كذلك ..

قال : وتحتاج إلى العمل الجماعي المنظم ..

قلت : تلك حقيقة ..

قال : يكمن فيها نقاء الإنسان ..

قلت : به . وبها سينتصر الإنسان ذاته ..

قال : عندما يحطم جدار الوهم ..

قلت : جدار نحن صنعناه ..

قال : ونحن سنهدمه ..

٧

الاشراق .. في عيون الغد

« انكم تحركون التاريخ في عيون الغد » .

قلت : مرحبا ..

قال : أهلاً ..

قلت : حوارنا أصبح مألوفاً .. وأخاف أن يأسرنا الاسترخاء عند أبوابه ..

قال : بل ، أصبح حوارنا متعة ..

قلت : أخاف أن يفقد تألقه ..

قال : ادرك خوفك من الاسترخاء عند أبواب المألوف ..

قلت : اخاف أن تموت الكلمات على الشفاه .. عندما تأسرنا الرتابة ..

قال : عندما نفقد الصدق في كلماتنا .. تأسرنا الرتابة ..

قلت : الرتابة عادة تغتال الطموح ..

قال : عندما تتغلغل في الأعماق ..

قلت : لهذا نحن نرفضها ونخافها ..

قال : ممارسة الرفض .. حركة .. والحركة نقيض الرتابة ..

قلت : صدقت .. ولكن ..؟

قال : ولكن ماذا ..؟ في حوارنا متعة تنبثق من تألقه .. ومن دفء كلماته ..

قلت : حوارنا .. متألق بقضاياه ..

قال : يستحيل أن يتم الحوار دون قضية ..

قلت : وما اخصب قضايا الإنسان ..

قال : ولكننا نعيش عصراً مجدباً ..

قلت : ولكن .. تولد في أعماقه الخصوبة ..

قال : أو تؤمن بذلك ؟

قلت : كلي إيمان بذلك ..

قال : على الرغم من معايشتنا لعصر غربة الإنسان عن ذاته..

قلت : بفقدانه جوهر القيم ..

قال : لذلك كانت الغربة ..

قلت : لذلك تعايش عصر السقوط ....

قال : سقوط الإنسان .. في الغربة ..

قلت : الإنسان هو الإنسان .. يعيش الخصوبة .. ويعايش الجدب .. يولد الغربة .. ويولد الانتماء ..

قال : ولكن معطيات الغربة .. تأسره ..

قلت : ذلك مظهر السقوط .. ولكن من رحم الجدب تولد الخصوبة .. ومن أعماق الغربة .. يتدفق الانتماء ..

قال : انكم متفائلون .. في عصر انتحر فيه التفاؤل ..

قلت : متفائلون لأننا نؤمن بالإنسان المعجزة ..

قال : تفاؤل .. بلا ايمان .. حماقة ..

قلت : إيمان .. بلا تفاؤل .. سذاجة ..

قال : صدقت ..

قلت : فمن الإيمان .. والتفاؤل .. تتفجر القوة ..

قال : والقوة .. بلا إيمان لا تولد الانتماء .. والانتماء جوهر قوة الإنسان ..

قلت : وجوهر خصوبته ..

قال : ما يستهويني في تجربتكم هو قدرتكم على النفاذ إلى جوهر الأشياء ..

قلت : لأننا نرفض الاسترخاء عند أبواب المألوف ..

قال : بل لان الزيف لم يلوث حياتكم ..

قلت : حاولوا .. أن يجعلوا من الزيف مضموناً لحياتنا ..!

قال : كيف .. ومتى ..؟

قلت : جاؤوا من وراء البحار .. ليغتالوا الحياة ، تحت سار بنائها ..

قال : تقصد الغزو الإيطالي لأرضكم ..

قلت : نعم .. وذلك ما أقصد .. حاولوا استلاب ثقافتنا .. لغتنا .. لباسنا .. كل مظاهر حياتنا .. حاولوا تزييفها.

قال : أود أن أعرف المزيد ..

قلت : كان تزييف لسانا .. بداية الاستلاب .. حيث جعلوا من لغتهم .. لغة الحياة ..

قال : وبعد ..

قلت : جعلونا نعيش ثقافتين .. ونتكلم لغتين .. ونعايش حياتين ..

قال : في آن واحد ..

قلت : نعم ..

قال : وكيف قهرتموهم ..؟

قلت : بالعودة إلى نقاء الإنسان ..

قال : كيف .. ما هي وسائلكم .. وأدواتكم ، على طريق العودة ..

قلت : تأصيل قيم الإنسان .. ومثله ..

قال : كيف تؤصلونها ؟ ..

قلت : بالثورة الثقافية .. كحركة للتأصيل .. ومضموناً لها ..

قال : كيف ؟ ..

قلت : حددنا مظاهر الاستلاب .. ومضامين الزيف .. وجعلنا من لغتنا لغة الحياة .. وعايشنا عروبتنا ، في مظاهر الحياة اليومية ..

قال : وهل هذا يكفي لقهر مظاهر الزيف ..؟

قلت : لم تكن الثورة الثقافية حركية فوقية .. محدودة بل جعلناها ، مضموناً لحركة الجماهير يومياً – في ثورتها الشعبية ..

قال : لم أفهم ..!

قلت : الثورة الثقافية شكلت مضموناً للثورة الشعبية .. واطاراً موضوعياً لها ..

قال : اتقصد النقاط الخمس ..!

قلت : ذاك ما اقصد .. وهل تتصور أن الثورة الإدارية ..

تتحقق دون القضاء على العقلية البيروقراطية ..

قال : يحتاج الأمر آلى تغيير فلسفة القانون ذاته ..

قلت : تحتاج إلى تغيير « العقلية المكتبية » التي تتحرك في عقول الموظفين .. فتغيير العقلية أرضية لتغيير القانون ، من قانون يحكم إلى قانون يخدم ..

قال : كل القوانين ..

قلت : كلها .. وبالجماهير ذاتها تم التغيير ..

قال : هل تعني ان الجماهير هي التي صاغت القوانين ..؟

قلت : وفق رؤيتها .. ومصالحها .. ودون أي قيد على حركتها .. يحركها احساسها بالإنتماء لعصرها ..

قال : عصر الجماهير ..

قلت : لذا كانت حركة الجماهير مدخلاً لتأصيل قيم النقاء .. ومثله ..

قال : لتجسد معطيات الصوفية ..

قلت : ذلك جوهر الثورة الشعبية .. حتى يصبح المجتمع خالياً من كل امراض الزيف .. ومظاهر الاستلاب ..

قال : عصر انعتاقها الحقيقي ..

قلت : لذا كانت حركة الجماهير مدخلاً لتأصيل قيم النقاء .. ومثله ..

قال : لتتجسد معطيات الصوفية في عصر الجماهير ..

قلت : ذلك جوهر الثورة الشعبية .. حتى يصبح المجتمع خالياً من أمراض الزيف .. ومظاهر الاستلاب .

قال : لقد حققت الجماهير ذاتها .. بعد معاناة ..

قلت : في أتون المعاناة تتطهر الإرادة .. ويتبلور الانعتاق ..

قال : من المعاناة تشرق الجباه .. وبها يتألق عيون الغد ..

قلت : ببريق الانعتاق ..

قال : ولكن .. لحركة الجماهير .. بعض السلبيات ..

قلت : سلبية الحركة لا تلغى إيجابياتها ..

قال : ولكن .. في تراكمها يكمن الخوف ..

قلت : حركة الجماهير .. تلغي مكامن الخوف من الخطر ..

قال : وكيف تجاوزتموها ..

قلت : بحركة الجماهير .. ذاتها ..

قال : التحليل الموضوعي لمظاهر السلبية .. سبيل التجاوز ..

قلت : بتتالي تصعيد الثورة الشعبية .. تجدرت النتائج .. وتحددت السلبيات ..

قال : مثلاً ..

قلت : الغينا الوصاية على حركة الجماهير ..

قال : كيف ؟ ..

قلت : اعطينا الجماهير كل الحرية .. حرية الحركة وحرية الممارسة .. وقضينا على المنحرفين والذين شكلوا ، حلقة وصاية فكرية وسياسية ..

قال : مراهنة صعبة على حركة الجماهير .. إلا تخشون الغوغائية ..

قلت : عندما لا تتحدد الأهداف .. تنتصر الغوغائية ..

قال : تجربة غنية ..

قلت : المراهنة على الجماهير .. اثراء للفكر ..

قال : وتقنيناً للممارسة ..

قلت : في اطار صوفية الحياة ..

قال : الصحراء منت الصوفية ..

قلت : وعلى ذراتها يموت الزيف ..

قال : ليت كل الصحاري كصحرائكم ..

قلت : نقاء الإنسان ، في عصر مجدب النقاء ..

قال : هنا تكمن عظمة تجربتكم .. فمن دياجير الظلمة . يتدفق الأمل ، ويتفجر النقاء لتشرق عيون الغد ، عل جباهكم ..

قلت : الإنسان هو الأمل .. وبه تتألق عيون الغد ..

قال : انكم تحركون التاريخ في جفون الغد .. وتجسدون معطياته نحو اليقين ..

قلت : اليقين وليد الإيمان ..

قال : ومبعث الأمل ..

قلت : تلك هي .. ثورة الأمل والإنسان واليقين ..

قال : وثورة الصوفية في عصر يرفض الصوفية ..

قلت : تلك هي الحقيقة ..

- ٨ -

ثورة في ضمير الامل

« المعاناة من أجل اليقين قمة الإنتماء » .

قال : أهلاً ..

قلت : مرحبا ..

قال : إنكم تحركون التاريخ في عيون الغد .. نحو اليقين .

قلت : نحن نعيد إنتماء الإنسان إلى تاريخه ..

قال : حركة الإنسان ذاتها .. إنتماء للتاريخ ..

قلت : ليست كل الحركة .. ولكن البعض منها . ؟

قال : لم أفهم . ؟

قلت : صراع الإنسان ضد الإنسان ، بمعيار احتواء القوة لشرعية الحق .. مثلاً . !

قال : تلك أحداث مضت .. حيث كانت القوة معياراً لحركة التاريخ ..

قلت : حيث توقفت حركة الانتماء للتاريخ . !

قال : ما معيار الحق ؟

قلت : شرعية الإنتماء لقيم الإنسان ..

قال : ولكن .. لا زالت القوة معياراً للقيم ؟؟

قلت : ولكنها معيار زائل ..

قال : شرعية الحق ..

قلت : قوة الإنتماء .. بقوة الحق ..

قال : عايشت تجربتكم ، وبقوة الحق تحددت حركة التاريخ نحو اليقين ..

قلت : وتحقق انتماء الإنسان لتاريخه ..

قال : لذلك شددت رحالي معكم علني أستطيع تمزيق وشاح الاسترخاء عند أبواب المألوف ..

قلت : تحتاج إلى معاناة ..

قال : المعاناة من أجل اليقين .. قمة الإنتماء ..

قلت : وتحتاج إلى مثابرة . !

قال : المثابرة من أجل الأمل .. متعة فائقة ..

قلت : ونحتاج إلى ثورة في العقل . !

قال : ثورة العقل معياراً لشرعية الحق ..

قلت : وشرعية الحق .. هي اليقين بذاته ..

قال : وهي جوهر قوة الإنسان وتألق انتمائه ..

قلت : حتى تفنى ذات الجزء في ذات الكل ..

قال : تلك هي صوفية حركة التاريخ ..

قلت : تتألق عيون الغد ببريق الإنتماء ..

قال : انتماء الإنسان لذاته .. ولتاريخه .. ولعصره ..

قلت : عصر الجماهير . !

قال : حتى تتحول الجماهير .. إلى الطرف الأقوى في المجتمع ..

قلت : لأن الأقوياء دائماً يحكمون ..

قال : تلك مقولة حددها الكتاب الأخضر « في أن الأقوياء دائماً يحكمون » .. أي الطرف الأقوى في المجتمع هو الذي يحكم » ..

قلت : ولكن يتطلب تحقيقها أن يصبح الشعب ، بيده السلطة ، وبيده الثروة . وبيده السلاح ..

قال : وبذلك تلغي الجماهير بقوة حضورها ، السياسي ،

والإقتصادي ، والعسكري ، قوة الفرد أو الطبقة أو قوة القبيلة أو قوة الطائفة ، أو قوة الحزب ..

قلت : نظرياً وواقعياً ..

قال : تلك هي حقيقة الديمقراطية الشعبية المباشرة .. ولكن !

قلت : ولكن ماذا . ؟

قال : حتى تصبح هذه الحقيقة جوهر الحياة .. تحتاج إلى المعاناة من أجلها ..

قلت : المعاناة من أجل اليقين .. قمة الإنتماء ..

قال : إنكم تفجرون ثورة الأمل في وجدان الإنسان . !

قلت : ونعيد لليقين اشراقاته ..

قال : في ذاتية الإنسان ..

قلت : مادياً .. وروحياً ..

قال : وهذا يتطلب تكامل المعالجة النظرية لمعضلات الإنسان.

قلت : ويتكامل المقولات النظرية ، السياسية ، والإقتصادية والإجتماعية والفلسفية .. « تتأطر النظرية » ..

قال : وتنتهي بحلولها . أزمة الإنسان ..

قلت : وتحل معضلة الممارسة « لحرية الإنسان » ..

قال : ليطرق الإنسان الحر أبواب التاريخ .. يعطيه من ذاته بريق الإنتماء ..

قلت : وتفتح بوابة التاريخ ليزحف عصر الجماهير يلهب المشاعر ، ويبهر الأبصار ..

قال : ويسقط الزيف .. بحضور الجماهير المستمر في مؤتمراتها الشعبية ولجانها الشعبية .. واتحاداتها ، ونقاباتها ، وروابطها المهنية ، تمارس السلطة ، وتمتلك الثروة ، وتحمل السلاح ...

قلت : تلك هي الديمقراطية الشعبية المباشرة .. التي تحقق سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه – بكيفية واحدة – « لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية » .

قال : لتصبح الديمقراطية رقابة الشعب على نفسه ..

قلت : وتتحقق سلطة الشعب دون نيابة ، أو تمثيل ، أو سلب لسيادته . أو احتكارها من قبل سلطة الفرد ، أو الحزب . أو المجلس النيابي ..

قال : إنكم تحققون حلم البشرية ..

قلت : لان ما نقدمه ما هو إلا نتاج للفكر الإنساني الذي استوعب كافة التجارب الإنسانية من أجل الديمقراطية .. وثمرة نهائية لكفاح الشعوب ..

قال : وتقنيناً لانعتاقها الحقيقي .. ولكن ؟

قلت : ولكن ماذا ؟

قال : من يقوّم الانحراف في المجتمع .. وبأي وسيلة ..

قلت : إذا كانت الديمقراطية الحقيقية تعني مسئولية كل المجتمع .. اذن الرقابة لا بد وان تكون من مسئولية كل المجتمع .. حيث يكون الشعب هو الرقيب على نفسه ..

قال : كيف .. لم أفهم ؟

قلت : إذا حدث انحراف في مجتمع الديمقراطية الشعبية المباشرة .. فلا بد وأن يكون انحرافاً كلياً .. يعالج بكيفية كلية . عن طريق المعالجة الديمقراطية ، وليس عن طريق القوة ..

قال : حيث أنه في مثل هذه الحالة . لا توجد جهة خارج جهة أخرى .. حتى توجه لها أعمال العنف « القوة » أو تحملها مسئولية الانحراف ..

قلت : كما يتمثل ذلك في أدوات الحكم الأخرى — والتي تدعي الديمقراطية — عبر أدوات النيابة والتمثيل .. ليحتكر الفرد . أو الحزب . أو الطبقة . السلطة من خلالها ..

قال : وتصبح القوة . وسيلة تقويم الإنحراف . عندئذ ..!

قلت : على الرغم من كونها وسيلة غير ديمقراطية ، إلا

أنها وسيلة الحسم المتاحة في وضع غير – ديمقراطي ، لتقويم الإنحراف ..

قال : هذا صحيح .. لأنه ليس كل الشعب مُشارك في أداة الحكم ..

قلت : في المجتمع الديمقراطي الشعبي .. تصبح القوة ليست وسيلة تقويم الإنحراف .. بـــل تصبح المراجعة الديمقراطية . هي وسيلة تقويم الإنحراف الوحيدة .. بل هي النتيجة الحتمية لطبيعة النظام الديمقراطي ذاته حيث ان المسئولية ، مسئولية كل الشعب ..

قال : انكم تبهروننا ..

قلت : الصحراء دائماً تبهر .. وعلى ذراتها يشرق الإنتماء ..

قال : انتماء الإنسان لتاريخه ..

قلت : قوة الإنتماء .. بقوة اليقين ..

قال : واليقين .. يكمن في ثورة العقل ..

قلت : يتحرك التاريخ في عيون الغد .. وتتألق معطياته ...

قال : تنتصر صوفية الحياة ..

قلت : حتى تفنى ذات الجزء في ذات الكل ..

قال : تظللها صحوة العقل .. ويقظة الوجدان ..

قلت : وتنتهي بها .. رتابة الاسترخاء عند أبواب المألوف ..
قال : رتابة .. نحن صنعناها .. ونحن سنحطمها ..
قلت : بصحوة العقل ..

- ٩ -

عرس .. الثورة

« أرض يصنع فيها الرجـــال
الغضب المقاتل لا يهزم الانتماء فيها » .

قلت : أهلاً ..

قال : مرحبا ..

قلت : ماذا فعلت بدفاتر الأشياء المألوفة ؟

قال : تجاوزت المألوف فيها ..

قلت : على درب الرافضين .. نحتضن تجاوزك ..

قال : رفض السقوط .. والغربة .. واللاانتماء ..

قلت : كيف ؟

قال : علمتني صحراؤكم .. كيف أقهره ..

قلت : كيف ؟
قال : اعايش الصوفية فيها ،، وأعيشها ..
قلت : تلك هي البداية .. نحو ..؟
قال : نحو اليقين ..
قلت : نعم .. ولكن رحلة الرفض متعبة ..
قال : أهوى السفر في عيون الزمن ؟
قلت : وعيون الغد .. ألا تستهويك ؟
قال : اعشق حمرة الغضب فيها ..
قلت : الغضب .!
قال : الغضب زاد الرافضين في ترحالهم على درب اليقين ..
قلت : لتتجاوز زمن السقوط ..
قال : تبلور الغضب في أعماقي .. من تجربتكم النضالية في عمق التاريخ ..
قلت : كيف ؟
قال : بطولاتكم .. علمت البشرية النضال ، وأعطته مضمونه .
قلت : النضال من أجل اليقين .. جوهر الحرية ..
قال : بل .. هو اليقين ذاته ..
قال : لقد حدد غضبكم ابعاد الإنتماء ..

قلت : وصنعنا محتوى حركة التاريخ .. والإنسان نحوه .

قال : ولكن رحلة الرفض طويلة !

قلت : ولكن اقدام الرافضين على درب اليقين .. لا تتعب ..

قال : الحقيقة .. كتوهج الغضب في عيون الرافضين .

قلت : ولكن .. دوامة الغربة لا زالت تنسج في الأعماق وشاح الإسترخاء ..

قال : إلى أرضكم تهفو قلوب الرافضين .. فعصر الإنعتاق يبعث دفء الأمل فيهم ..

قلت : هذه الصحراء .. اصطفاها الإنتماء كي تحمل ذراتها بريقه ..

قال : وشهد التاريخ عرس الإنتماء فيها .

قلت : •حيث تآخى فيها الغضب .. والرفض .. والإنتماء ..

قال : ارض يصنع فيها الرجال الغضب المقاتل .. لا يهزم الإنتماء فيها ..

قلت : ولكنهم حاولوا !

قال : لا يدركون ان الصحراء منبت الغضب المقاتل ..

قلت : ثم ماذا ؟

قال : في تجربتكم ، امتزج الإنتماء بالمعاناة .

قلت : لتثبت — مصداقية المعايشة — عظمة التجربة .

قال : وعلى كل ذرة من رمال صحرائكم وفي كل نبضة في جباهكم .
قلت : تفجرت بالأمل .. واليقين ..
قال : وبرفض الاسترخاء عند أبواب المألوف !
قلت : وكل استلابات العصر لحركة التاريخ ..
قال : لقد أثبتت صوفيتكم ، اليقين في عيون الغد .
قلت : لتعود للانسان .. مشروعية السفر في عيون الزمن .
قال : بعد ان تحجر في افق الحياة ..
قلت : عندما افتقد الإنسان مشروعية الأمل .
قال : وتعب الرافضون . !
قلت : بل عندما عجز الرافضون عن اختراق جدار الوهم ..
قال : لأنهم .. لأنهم لم يدركوا ابعاد الصوفية ..
قلت : لا تولد الصوفية الا في رحم اليقين ..
قال : واليقين ارضية الإنتماء والأمل ..
قلت : ان دفقة الأمل تحدد معنى الحياة ..
قال : ويحدد الرافضون مضمونها ، في عالم لا هدف له انكم تبهرون البشرية .. وتجيبون على تساؤلاتها . !
قلت : ونضع حلولاً لأزمة الإنسان .

قال : أزمة (تقنين الحياة) في غاب يفترس الأقوياء فيه الضعفاء ..

قلت : حيث اصبح الاسترخاء عند أبواب المألوف .. عادة تغتال الأمل .

قال : لأننا افتقدنا معاناة الصوفية ..

قلت : صدقت .. فالصوفية نضال من أجل الحق والخير . والعدل ..

قال : مأساتنا .. اننا نعيش الاستلاب .. ونعايش السقوط وتلك هي أزمتها ..

قلت : لقد اصبحتم كانسان (كافكا) . !

قال : كيف كان ؟

قلت : يقول كافكا (أن رجلاً وصل إلى باب الأمل ، فوجد أمامه حارساً ، فسأله السماح له بالمرور — على الرغم من أن الباب كان مفتوحاً — والحارس لا يجيب .. وظل الرجل يتوسل للحارس ، أياماً .. ثم شهوراً ، ثم سنوات والحارس لا يجيب . !
ويظل الرجل ينتظر الإذن بالمرور حتى شاخ الرجل .. وكبر .. وعندئذ طرح سؤالاً حائراً في أعماقه : لم لم يسع أحد إلى هذا الباب غيري ؟ .. فأجابه

الحارس لم يكن في وسع أحد الوصول إليه غيرك ..
لأنه كان مخصصاً لك والآن حان الوقت لقفله .
وقفله الحارس !)

وظل الرجل يبكي أمامه .. حتى مات .

قال : فهمت .. ما ترمي اليه قصة كافكا .. فالاستلاب لا يقهر (بالإنتظار) أمام أبواب المألوف .. ولكنه يحتاج إلى ترجمة الرفض عملياً ..

قلت : وإلاّ .. ستظلون أمام أبواب الاسترخاء تمضغون الزمن والوهم والسراب .

قال : صدقت .. الرفض ، موقف ، والموقف فكر والفكر أداة اقتحام لأبواب الاسترخاء .

قلت : تلك هي صحوة العقل ..

قال : انكم قادرون على الوصول إلى جوهر الأشياء

قلت : لأن (التجربة) صهرتنا في بوتقة المعاناة .. والمعاناة معيار للمعايشة ..

قال : ان عظمة تجربتكم تكمن في ذلك .. انكم تحققون أحلام البشر .

قلت : يوتوبيا العصر . !

قال : ولكنها يوتوبيا حقيقية ..

قلت : لقد أدرك (الأوصياء على البشر) عظمة التجربة .. فحاولوا وأدها واقتلاعها من جذورها ..

قال : لأنهم خافوا من عطائها .. وأدركوا خطورتها في تفجير بؤر الاشراق الإنسانية في عالم تسوده ظلمة اليأس ..

قلت : لذا كان العدوان مقدمة لهذا الخوف .. فكلما تعاظم عطاء التجربة .. كلما تجسد الخوف منها .. عدواناً . !

قال : هكذا هي التحولات الحضارية العميقة .. تواجه بالعدوان .. والعدوان ترجمة للخوف .. كل التحولات . !

قلت : كل التحولات تواجه بمحاولات اقتلاعها حتى لا تترسخ في فكر ، وحركة الإنسان ..

قال : لذا جاء توقيت عدوانهم مبكراً ..

قلت : لم يدركوا أن ممارسة التجربة تعمق الانتماء لصحوة العقل ..

قال : وترسخ الإيمان في قلوب الرافضين ..

قلت : ليشرق في جباههم بريق الانتماء للأرض والإنسان والتاريخ ..

قال : كانوا يراهنون على القوة . !

قلت : القوة بلا إيمان .. حماقة . !
قال : كانت ترجمة للخوف من عطاء التجربة ..
قلت : ولكن .. الإنسان أصبح مصداقاً لها ..
قال : لذا اصبح السفر في عيون الزمن حقيقة ..
قلت : تجسد اليقين في بؤرة اشراق على جبين الرافضين ..
قال : ليحرك الإنسان وجدان التاريخ بالإنتماء للإنسان .. والحرية .
قلت : عندئذٍ تنتصر الصوفية .
قال : ويتوهجَ الأمل في دروب التائهين ..
قلت : وتصبح الثورة إنساناً .. والإنسان ثورة .
قال : تقرع أجراس الرفض في اسماع التائهين في سراب الاسترخاء .
قلت : لتوقظ النائمين على أبواب المألوف !
قال : الفجر آت .. الفجر آت ... !
قلت : في صحراء اليأس ..
قال : فيا صوفيي العالم اتحدوا .. فلن تخسروا إلا وهم الاسترخاء ..!

محتويات الكتاب

- المعاناة مِن أجل اليقين قمّة الانتماء .

- إذا كان الحوار طريقًا للإيمان فإن المعايشة شراع الانتماء .

- الحوار وسيلة لإثراء الفكر وأرضية للقناعة .

- أرض يصنع فيها الرجال الغضب المقاتل ، لا يهزم الانتماء فيها .



الثمن
١٠٠ درهم